الكتاب: الزوريت والتائه
المؤلف: محمد محي الدين أبوزكو
الطبعة االولى 2021
978-91-89288-10-2:ISBN
اإليداع القانوني لدى المكتبة الملكية السويدية: 29-22 08-01-2021
الناشر: رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم
السويد، فاستراء جوتالند هاتف:
0046790185518
البريد اإللكتروني:
digitizethearabicbook.com

جميع الحقوق محفوظة لدى دار نشر رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم، ال يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تقليده، أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من االشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

إن جميع اآلراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي الكاتب وال تعبر بالضرورة عن رأي الناشر. والمؤلف هو المسؤول عن المحتوى

الفهرس

االهداء	3
إهداء خاص	4
مقدمة	5
الحلم المتكرر	6
العرض الثالث	8
الصحفي و الرقيب اول	14
انه يضمر لك الشر، كثير من الشر	20
السلمة	27
نحن الزنوج ال مكان لنا في السودان	29
انت رجل و أنا إمرأة	42
انهم حثالة	46
زوجة الشيخ جنية	52
يقول لها انه مختلف	58
تريرة الكوفة	62
لوحة العربة	68
عيد ميالد سعيد	75
المحاكمة	85
انا لم أمت و لن	95
من الراوي	100

عزيزي القارئ الكريم ' 101

إهداء

إلى

من سهرت وتعبت ومارضت، من شقيت وعلمت وقومت الحنون

العطوف

إكرام بت محمد احمد حامد

أمي التى علمتني شغف القلم و حب القراءة

إلى

كل من علمني حرفا

إلى

الغائبة الحاضرة المجهولة في غياهب القلب ملهمتي التي أحب

وأخيرا إليك انت عزيزي القارئ

إهداء خاص

إلى

من له أحترام ال أكثه إل لألقربين

العم و الوالد المربي

أبراهيم عجلان

متعه هللا بالصحة و العافية

مقدمة

الحصول على سعادتك بالطرق السليمة إن لم تقل
تطول العثور عليها بالطرق الخاطئة, والصحيحة قل
من سيضيع فيها . ق

محمد ابو زكو

الحلم المتكرر

كان الطريق ما يزال واسعا حينما وجد نفسه يمشي وسط غابة من االشجار الكثيفة, القمر في اجمل لياليه المضيئة زاهيا" ومكتمال, النجوم مبعثرة حوله ببراعة واتقان, االشجار طويلة ومتراصة بترتيب أنيق.

فجأة ظهرت امامه كرة صغيرة من الضوء بحجم تفاحة, بدء يالحقها كانت تسرع امامه وهو يسرع خلفها, ثم بدء الطريق يضيق شيئا فشيئا, القمر ينقص وضوءه بدء في الذوبان, الظالم أيضا قرر أن يجد مكان له في ذلك المكان, زاد سرعته خلف الكرة التى تطير أمامه بوتيرة متصاعدة, الطريق زاد من وتيرة انحساره, االشجار بدءت تقصر, النجوم أصبحت تختفى تباعا, هرول تجاه الكرة التى كانت تهرب منه في خط مستقيم, وبذات السرعة كانت االشجار تقترب اكثر من جانبي الطريق والقمر كان يضعف ويتالشى كأنه أراد أن يستكمل دورة حياته كاملة تلك الليلة, الطريق كان ينحسر من الجانبين ومن الخلف.

إلتفت وراءه ليجد أن ال شيء خلفه سوى ظالم حالك السواد, ليصتدم بجزع شجرة ضخم كان مرميا في منتصف الطريق تماما.

إختفت كل االشياء, االشجار, القمر, النجوم, الطريق, حتى كرة الضوء التى كان يلحقها, أراد أن يصرخ، إستدعى كل قوى حباله الصوتية ولم يستطيع قول شيء, ليكتشف بعد برهة أنه هو من إختفى, وجد نفسه في حفرة عميقة, رفع نظره الى االعلى, قبحتها بعيدة جدا وضيقة, رأى من خاللها آخر نجمة تنام لمعت مرتين وإختفت, وآخر خيط من القمر قد تالشى تماما, تسلل الضوء عبر فوهة الحفرة لقد ظهرت الكرة مرة أخرى، كانت تقترب وتكبر, تقترب منه اكثر وتكبر اكثر فاكثر حتى إنتهت فوق رأسه تماما ليراها بوضوح، كانت من الضوء االزرق النقي كأنها جوهرة، رفع يده ليلمسها لكنها إبتعدت وبدءت في االنتشار في كل االنحاء ببطء وتالشي معا حتى إختفت تماما.

بدءت في الظهور مجددا هذه المرة إنقسمت وكونت كرتان صغيرتان, لتتحول الكرتان الى عينان كبيرتان من الضوء، نبتت بقية المالمح، أنف طويلة مخروطية، شفتان صغيرتان, االذنان، إستدار الوجه، قرطان، إكتمل الرأس, تدلى شعر قصير، قفز منه تاج من الضوء كان يلمع في هدوء ملكي، إكتملت بقية االجزاء تباعا، صدر كبير، يدان ناعمتان، وخصر

ممتلىء كانت ترتدي فستانا ازرق يتألأل ويشع بتفرد، رفع يده نحوها, يريد أن يقول شيئا, يريد أن يحي الملكة, رفعت يدها الى الألعلى إستدعت صولجانا أحمر ووضعته على عنقه، إنحنت لتقترب منه, كان يتعرق كلما إقتربت أكثر, وضعت وجهها أمام وجهه ثم صاحت

انا ال احبك, ال احبك

مجرم, انت قاتل يا مرتضى- انت

انا اكرهك, اكرهك.

وقبل ان يقول شيئا وخذه العسكري بعصا طويلة على ظهره الطويل

- لقد تبولت وأنت نائم ها قالها بإستحقار.

,

نظر اليه مرتضى بنظرات متعبة وكسولة ثم رمق موضع فعلته بخجل.

اكمل العسكري حديثه دون ان يمنحه فرصة للتبرير,

- عليك ان تتحمل ما تجنيت به على نفسك, لن تدخل الحمام اليوم, وستبقى بمالبسك النجسة هذه حتى الغد, قال الجملة ألألخيرة هذه وهو يغادر الزنزانة.

جلس مرتضى في زاوية بعيدة من باب الزنزانة، أوقف قدميه وجعل ركبتيه أمام صدره واسند ظهره على الحائط وأحاط قدميه بيداه الطويلتان، ثم وضع ذقنه بين ركبتيه، ظل يردد بصوت مختنق

- أنا لست مجرم أنا احبك,

أحبك جدا, أنا لم اقتل احد.

إنهمرت دموعه، كانت تخرج من عينان متورمتان كئيبتان, تخرج ببطء وإنتهت مسيرتها على قميصه المشرئب بألوساخ، لقد إستنفدت طاقتها ومخوزنها لم يبقى منها شيء.

العرض الثالث

عذرا يا سيدي انا ال اخاف الموت, وحينما تُقبض روحي لن يفرق معي إن مت شنقا او مت بالرصاص او حتى مت غرقا, فالموت واحد والكيفية هي طريق الوصول الى النعيم او الجحيم, انت االن تعرض علي العفو على جريمة لم أرتكبها, تعلم تماما انني لم أقتل أبنك, بل أنت متأكد من ذلك و إال لكنت قتلتني في تلك الليلة, وما أظنه حقا أن موته ال يفرق معك, لذا جئت اليوم تستغل الوضع في مصالحك الدنيئة يا للعار, انتم االغنياء تظنون ان كل شيء يمكن شراءه بالمال حتى االخالق والشرف.

اتفق معك ان لكل شيء ثمن لكن ليس االخالق, ومن يبيع أخالقه ال يستحق أن نطلق عليه لفظ إنسان, نحن الفقراء نمتنا هي كل ما نملكه وأغلى ما نملكه وليس لها ثمن, إن بعناها لكم سنصبح مثلكم فاسدون وإنتهازيون لذا يؤسفني أن أخيب ظنك, انا ارفض و للمرة اَلخيرة ال تفكر في هذا اَلمر.

عدل الرجل من طريقة جلوسه, قلع نظارته ثم قال وهو يمسح على لحيته السوداء الطويلة,

- أنا اقدر مشاعرك التى تسيطر عليك اَلن, احيانا عليك أن تختار بين اَلخالق والصواب, ليس اَلمر مرتبطا بالمبادئ ففي احيانا كثيرة تكون جميع الخيارات التي امامك صائبة ويبقى الفيصل في اإلختيار مصلحتك ومصلحة من هم حولك.

رسم مرتضى إبتسامة جانبية ساخرة ثم إستطرد قائال,

ال أنت ال تفهم, ال تعتقد أننا وحدنا الفقراء أنتم أيضا فقراء, ربما لسنا من ذوي الثروة والمال لكننا أغنياء بمبادئنا وثوابتنا أما أنتم تملكون الثروة و المال لكنم تفتقرون للضمير واألخالق.

كما ترى يا سيدي يمكن للمال والثروة أن أُ ِتيَا في أي لحظة, لكن إن فقدت الضمير واألخالق لن تعثر عليهم أبدا مهما كان الثمن الذي تعرضه, لذا قراري هو ال, فلتذهب للجحيم أنت وأموالك ولتحترق فيها ببذلتك هذه.

كان مرتضى يقول ذلك بوتيرة تصاعدية في وجه الرجل الذي يجلس أمامه ولم يجد الرجل سوى النهوض ممتعض الوجه والمغادرة دون أن ينطق بكلمة.

بعدها بخمسة ثواني سمع باب الزنزانة يغلق بعنف وتلى ذلك وابل من الشتائم له وألمه ,ثم سمع الضابط يأمر بالنيل منه, وبعد دقائق معدودة دخل عليه جنود ضخام الأجساد سود البشرة تتراقص عضالتهم يمنى ويسرى وكما بدا عليهم غاضبين جدا وهم على وشك التدرب على
لكمات جديدة.

هذه هي المرة الثالثة التي يعرض فيها أهل المجني عليه على مرتضى أن يتغاضى عن زكر بعض المعلومات التي سيسأل عنها القاضي الحقا في حيثيات المحاكمة مقابل ان يعفو عنه.

لكنه ظل يرفض العرض تلو الآخر لتأكده من عدالة المحكمة وأنه سيتم إعالن براءته قريبا.

في الجمعة الماضية كان العرض الأول لمرتضى حيث عرض أهل المقتول عليه عرضهم الأول عن طريق محاميه.

وقد عاتبه مرتضى قائل

عليك أن تكون حاضرا للدفاع عن الحق بدال من أن تساهم في طمس الحقائق واتباع الطرق القانونية في سعيك إلثبات الحقيقة, اقله توجب عليك أن تفعل الأمر الذي يمليه عليك شرف
المهنة.

واكد له المحامي أنه ال يهتم بحيثيات المحاكمة يهتم فقط بنجاته من الإعدام و قال له أيضا, إن القانون مع من يجيد تطويع الوقائع والأحدث لمصلحته, لكن رد مرتضى بالرفض.

فقال له المحامي يائسا منه, - أنت هكذا تحكم على نفسك بالإعدام, في هذا العالم يا مرتضى وتحديدا بين هؤلاء الذين يتحكمون بالمال في كل شيء ال يوجد قانون هم القانون بحد ذاته. - أتطلب مني أن أبيع نفسي, أبيع كرامتي ومبادئي مرة أخرى؟ سبق و فعلتها و لن أكررها االن بعد اآلن, قال ذلك بندم.

- ال مبادئ و ال أخالق أهم من البقاء قيد الحياة يا مرتضى هذا هو أهم مبدأ, أنت تعلم أن ما تفعله االن سيؤدي لنتيجة واحدة و هي موتك و ربما أختك أيضا و خطيبها, ربما سيطول االلم حتى تلك الفتاة. عقب عليه

مرتضى بنبرة راضية

أنا بالفعل ميت يا صديقي قتلني الحب منذ وقت بعيد وال يضر الميت إن قتل مرة أخرى, و أكمل,

و هل تعتقد يا صديقي إن فعلت ما يطلبونه سأنجو منهم ؟ ال تكن سخيفا االنتقام الذي يطبخ على نار هادئة يصبح أكثر لذة و متعة و أكثر إشباعا للنفس, و في كل الحاالت ستعلن المحكمة براءتي قريبا وسوف أخرج ثم ينفذون هم حكم االعدام, وتبقى الطريقة والزمان هما العامل الذي يثير نشوتهم.

قال المحامي باستسالم,

- كنت أقدم لك نصيحتي بصفتي محاميك أما بخصوص القضية دعني أخبرك باألمر السيئ, قاطعه,

- وهل تعتقد أن هنالك أسوأ من أن يكون الضابط الذي يستجوبك هو شقيق المقتول ؟ قال ذلك وهو يرسم ابتسامة جانبية ساخرة وأكمل,

إنها محاكمة عائلية يا صديقي وأعتقد أن موعد رحلتي قد اقترب و علي إعداد نفسي جيدا للقاء ربي, فعند هلا ليس هناك ظلم ولن نحتاج أن نلفق الحقائق لننجو من العقاب, قال ذلك وهو يرسم ابتسامة هادئة قبل أن يقاطعهم العسكري معلنا نهاية الوقت المقرر للمقابلة.

لملم المحامي أوراقه و رمى بهم في حقيبته البنية وقال و هو يغادر, سوف أستلم تقرير الطبيب الشرعي بعد غدا فقط تذكر قوله تعالى " و ال ترموا بأنفسكم في التهلكة".

ردد خلفه صدق هلا العظيم.

ثم أكمل اعتقد أنني أهلكت نفسي في تلك الليلة وانتهيت من االلم, فال أحد يرى حبيبتي فاتن وال يهلك ال أحد أبدا حتى أنت أيها الجندي, قال الجملة االخيرة في سره, والجندي يزجه في زنزانة الحبس االنفرادي.

قيل له إنه لن يغادر الزنزانة إال في حالتين فقط, حينما يغادر بعد أسبوعين من االن نحو المحكمة وإلى الحمام مرة كل يومين بعد فعلته الطفولية البارحة.

استلقى على االرض وأعاد إستزكار الحلم الذي مر به باألمس و قبل االمس, لقد راوده سبعة نفس الحلم, بال تغيير في االحداث أو في الحوا, نفس المالمح وطريقة تكوينها, نفس االشجار والطريق, هو ال يستطيع أن يكمل الحلم, ينتهي في نفس الكلمات التي تقولها أنا ال أحبك أنت قاتل يا مرتضى, أنا أكرهك, أجبره نفسه لمحاولة إكمال

الحلم في مخيلته لكنه لم يستطيع كان حلما صعبا, بل كابوسا و الكوابيس ال يمكن ان تتجسد في الواقع.

قبل أن يتبول داخل الزنزانة البارحة كان يسمح له باستخدام الحمام مرة واحدة في اليوم وإن شعر بضيق فليفعلها على نفسه شريطة ان ال يصل شيئا إلى االرض لكن بعد االن سيخرج إلى الحمام كل يومان.

يعلم أن هذه اإلقامة الفاخرة ليس حبا فيه, انما تقديرا لجهوده الثمينة في رفض عروضهم البخسة والرخيصة, زنزانة مساحتها اثنين متر مربع ونافذة صغيرة تطل مباشرة نحو الحمامات وتتبرع في سخاء بمده بعطورها النتنة دون كلل أو ملل, أو حتى بخل منها وتعلن بذلك تآمرها أيضا عليه.

الجو الحار ال يكاد يجد من يتلوى تحت جحيمه فيتلذذ بذلك و يعلن إقامته الدائمة في المكان, اما الباعوض الذي ألف دم اللصوص و مغتصبي االطفال والزناة وخائني االمانة و القتلة, عصابات النيقرز)النهب(و الطالب الذين يقبض عليهم وهم يهربون من مدارسهم, العاهرات و بائعات الخمور البلدية, و بائعات الشاي الالتي يعملن دون تراخيص و بائعي الحشيش, لم يطيب له دم اال دم مرتضى, فأقام المحافل على جسده الهزيل.

أما االرضية التي كانت حتى قبل يومين من الرخام تم تجديدها بما يناسب فخامة الزائ, حيث نثرت فيها الحصى الصغيرة التي تستخدم عادة في صنع الخرسانة, لكنها االن تبدوا كأنها خرجت لتوسع من نشاطها أو لتواكب التطور, كل هذا الخدمات واالمتيازات كانت بانتظار بطلنا مرتضى في الزنزانة االنفرادية, و باب حديدي يخلو حتى من فتحة لتضيف االوكسجين النقي تاركة له عنا التنقيب بين عشرات الروائح البغيضة التي تجلبها النافذة الحاقدة.

بهذا تكتمل الخمسة نجوم لإلقامة في هذا الفندق الغير محبوب ربما نقول سبعة نجوم إن أضفنا خدمات المساج التي يقدمونها جنود ضخام البنية يطلقون عليهم العبيد من قبل رؤسائهم, و يبدون سعداء بتلك االلقاب بل وفخورون بها وال يفكرون مطلقا بإظهار امتعاضهم منها, لكن لو خرجت من أفواه االقل منهم رتبة لكان مصيرهم السحق, و ال يمكن

ايضا ان يكون هنالك اصغر منهم رتبة فهم كالعادة ال يتخطون الرتب الدنيا و في احيان قليلة يصلون لرتبة المساعد بعد التذلل سنين طوال في خدمة اسيادهم من ذوي البشرة الصفراء الذين يضعون الدبابير الذهبية فما فوق. كان متأكدا أن حبه لها سيهلكه, يوم ما سوف يكون نهايته االكيدة, لكنه لم يتوقع أن تكون النهاية درامية بهذا الشكل ويكون هنالك طرف ثالث يدفع الثمن أيضا.

فالحب في منطقة كالسلمة ومجتمع فقير كمجتمعه ليس إل نزوة ستزول سريعا, لكنها لم تزول عنه ظلت معه, وجهته مشاعره كما شاءت ثم رمت به للبحر وهو ال يجيد السباحة. يدرك مرتضى أن الفقر ليس عيبا كما صوره البعض وان الحب رغم الفقر ليس عارا كما تصوره الفتيات, لذلك هو يطلق العنان لقلبه يحب كما يشاء ومن يشاء, فغني االخالق أكثر الناس رضا على نفسه وعمله.

بعض االغنياء يسعون دائما للحفاظ على أموالهم, يظلون يركضون في فراغ ال نهاية له حتى يأتي اليوم الذي يفقدون فيه كل شيء أو تفقدهم أموالهم كل شيء, أما االخالق فل أحد يسلب االخالق, و ال أحد أيضا يكتسبها بصورة غير شرعية.

لقد أحبها أكثر من نفسه ,أكثر من دراجته الهوائية المفضلة أحبها حتى أكثر من شقيقته رقية في المقابل لم تعيره االهتمام الذي يستحقه, حتى هذه اللحظة التي رمى فيها بنفسه في السجن وبين براثن الموت بسببها, لم تحبه بعد كما فعل هو, لطالما كانت تحب نفسها أكثر من أي أحد, فقد سبق وقالت له ذلك, ورغم ما قالته له إل إنه ظل يحبها وظل يفعل كل شيء من أجل الظفر بها ولم يكترث لكنه وجد نفسه يعانق القاع سريعا ولم يستطيع أن يسمع منها كلمة قد تجبر بخاطره المكسور.

ظن أنه بعد عام أو عامين ربما قد تقتنع أنه يحبها حقا, وقد رسم في عقله سيناريو حياته بعد المحاكمة,

قد يحكم عليه بالسجن ثالثة أعوام تأديبية بعد أن تبرأه المحكمة من تهمة القتل العمد, سيقضي هذه الفترة بين رسائلها االسبوعية وزياراتها الشهرية وهي تنتظره بفارغ من الصبر ليعقد قرانهما وتكلل قصتهم بالنجاح, لكن حتى اآلن ما زالت قصته هو وحده, فمنذ قبض عليه قبل شهر لم تقم بزيارته ولو مرة واحدة رغم أنها جاءت إلى قسم الشرطة و قدمت إفادتها باعتبارها الشاهد الوحيد الذي شهد الواقعة, ورغم ذلك يتفنن في إيجاد االعذار لها واقنع نفسه أنها في حالة صدمة من الحادثة, و للحقيقة صعب جدا أن تكتشف أن من كنت تخاف منه على نفسك تجده أكثر الناس حرصا عليك, ومن استأمنته عليها تجده أكثرهم إضمار لألذية لك, ربما هي في حالة صدمة من الواقعة, و قد أكد لنفسه بأنه سيساعدها بعد زواجهم لتخطي هذه المعضلة.

تبقى له أسبوعان من اآلن للمحاكمة وال يشغل نفسه كثيرا بموقف فاتن تجاهه, فهي بالتأكيد اآلن تأكدت من صدق مشاعره, وقد سعى بكل ما يملك ألن يحصل عليها بالصورة الشرعية واالخالقية ولم يراوغ كما يفعل شباب هذه االيام, ولم يكن ذلك الشخص الذي

يشبه أقرانه في المنطقة, فجميع عالقات الحب في ذلك الزمان هي مرتبطة بحقيقتين, أن المصلحة هي الهدف المشترك فالشاب يبحث عن إفراغ شهوته والفتاة تبحث عن ملء محفظتها وفي أحيان قليلة يكون أحد الطرفين نبيل ويحب بصدق, لكن المتعارف

عليه وربما أحيانا بصور شبه رسمية يتفق الطرفين قبل الخوض في العالقة على كل شيء ,أماكن اللقاء, كم مرة يفعالنها في ألسبوع وكم يدفع الشاب أما في حاالت أقل الطرف الخبيث يخفي ألمر حتى اللحظات الحاسمة.

وما زال مرتضى يتذكر صديقه كوما الذي أخبره كيف أنه خدع فتاة كان على عالقة بها,

طلب منها أن تقابله في منزله ليتحدثا قليل وحينما جاءت وجدت كل شيء مرتب بدقة فائقة, البخوريعم الرجاء الفراش مرتب بعناية, حتى أن ألرضية كانت مفروشة

بالرمل ألحمر الرطب, فما كان منها اال وان نزعت عنها عباءتها وسلمته نفسها في هدوء تام. كان مرتضى يسمع هذه القصة من صديق طفولته وليس في خياله اال شيئا واحد, هل إن خدع فاتن هكذا ستلبي رغباته؟ لكنه سريعا ما يطرد تلك ألفكار من رأسه فما زال متعلقا بدينه والتزاماته ألخالقية, فيسخر منه كوما بضحكة مستفزة ويقول له,

- أنت ال تستطيع حتى أن تقبلها أليس كذلك؟

لست مثلك يا كوما, أنا أريدها زوجة لي, ال أريد اللعب بمشاعرها.

يستمر كوما في السخرية منه ويزكره بالحقيقة التى يخاف االعتراف بها, في الحقيقة لم أرى عرب يوافقون على زواج ابنتهم من غرابي)زنجي). هذه المقولة دائما ما كانت تزعج مرتضى بل وتخيفه, فما زال يتزكر جار له من قبيلة البرقو تقدم لخطبة فتاة من قبيلة المحس لكن اهلها رفضوا بحجة انها ستكمل دراستها, بعدها بيومان

فقط تم دعوة كامل الحي لزواجها من ابن عمها.

هناك العنصرية القبلية تتحكم في كل شيء عالقات الزواج, الوظائف, حتى صفوف الخبز, ولكن هنالك سالح واحد يمكنه محاربتها وهو سالح المال, فالفقر الذي يستقر في جسد المنطقة يجعل حفنة من الجنيهات يسيل لها لعاب الحسان و ذويهم, لذا مرتضى قال لنفسه, حينما يخرج من السجن سوف يصبح مصور محترف تتهافت الصحف و قنوات التلفزيون على صوره

وبالتالي سيرزق بالمال الكافي للزواج من فاتن.

إن اكثر ما يخيف مرتضى هو ما قاله له المحامي في اخر مقابلة, ماذا لو حدث شيء لرقية ويوسف؟ ماذا سيحدث له ان اصابهما مكروه ما بسببه, كيف سيسامح نفسه, يعلم جيدا ان اسرة مثل اسرة المجني عليه تستطيع فعل أي شيء لترضي غرورها, ناهيك عن انتقامها الحد ابنائها, لكنه ايضا ال يريد ان يخفى شيئا او يكذب على القاضي, فرجل مثل هذا مع كل ذلك التاريخ االسود في حياته ال يهمه ما يقول االعالم عنه, فهي ليس ال فترة وسينسى الناس االمر مع واقع الحياة الصعبة.

قضى هذه الليلة يفكر في السبب الذي جعل اسرة ابنها االكبر ضابط في الشرطة, ولهم معارف في كل ركن من اركان الدولة يهتمون بما سيقوله امام القاضي وببساطة شديد يمكنهم شراء القاضي الشرطة و ربما يشترونه هو ايضا ان ارادوا ذلك, وسرعان ما غفى في احالمه البائسة
رغم الفراش الذي يمتد أسفله بالحصى وحرارة الجو التى يتخللها عبق الرائحة المزعجة.

الصحفي والرقيب اول

كرار التهامي احد ابناء مدينة شندي وابن اكبر مشايخها الذين اشتهروا بالورع والتقوى في ثمانينيات القرن الماضي, حتى تم فضح حقيقته المروعة واستخدامه للدجل والشعوذة واعمال السحر في عملية تنزيل االموال بمساعدة الجن, واغتصابه ألكثر من عشرون فتاة ما بين قاصر و بالغة. تم اعدامه في سوق شندي الكبير وتم تشريد اسرته, توفت زوجته غرقا في النيل وقيل انه تم قتلها ورميها فيه ولم تصل الحكومة للحقيقة مطلقا كعادتها ال تصل ال للحقائق التى تريدها, شرد بعدها كرار الى الخرطوم في بواكير شبابه عمل في االول ميكانيكيا في المنطقة الصناعية الخرطوم وقد تم القبض عليه متلبسا يسرق رب عمله فطرده, و بعدها لجأ الى مسيد الشيخ الصائم ديمة و حفظ القرآن الكريم و رغم ذلك لم يتوب عن اعماله االجرامية, و توسع نطاق نشاطه في بداية التسعينيات حيث كانت بواكير ثورة االنقاذ ورحكم االخوان المسلمين في السودان, وربعد ان استقر البشير و اعوانه في الحكم استطاع التقرب من احد رجاالت االمن وعمل معه في تهريب االثيوبيات من والية القضارف الى الخرطوم ما يقارب الثالثة اعوام, بعدها تم تجنيده ضمن خاليا االنقاذ النائمة وضمه للحركة االسالمية السودانية و ترقى في العمل التنظيمي حتى اصبح معتمدا لمحلية الخرطوم و حينها ظهر ابناءه.

و لم يشهد أي ممن زاملوه في فترة عمله في التنظيم االسالمي او في العمل االداري انه أشهر عن زواجه و يجمع االقلبية ان إبنيه السمؤال والفاتح امهم ثيوبية و يزعم هو ان امهم توفت في المملكة العربية السعودية.

لم يستمر في مقعده كمعتمد لمحلية الخرطوم طويال فقد استقال منه ليرضي احد ابناء الجعليين الذين جاءوا من شندي والذي تعرف عليه ويحفظ تاريخ اسرته عن ظهر قلب, واستثمر ما جمعه طيلة هذه الفترة في بناء امبراطوريته شركة التهامي لتصدير واستيراد معدات البترول واعمال الحفريات, وهي في االساس يستخدمها كغطاء لغسيل اموال صغار موظفي الحكومة ممن

ينتمون للحزب الحاكم وكذلك لتجارة الدعارة و هو المسؤول الرئيسي عن تنظيم رفاهية رجاالت الدولة المخلصين ورعاية عاهراتهم و تقع تحت ادارته خمسة عشر منزال ما بين دعارة و بارات.

و ينظم باستمرار حفالت للموظفين الذين ترضى عنهم الحكومة لنهبهم قوت الشعب واستغاللهم المال العام لمصلحة جيوبهم. كان هذا مقال عريض نزل صبيحة يوم االثنين 23 اغسطس 2014م بصحيفة الدار.

كان التهامي يجلس بجوار جنرااللت الشرطة بإستاد الخرطوم حيث يشهد تخرج ابنه االكبر الفاتح ضمن دفعة الشرطة لذلك العام حينما قرأ المقال, ناوله له صديقه العزيز مدير شرطة والية الخرطوم حيث طمأنه بأن هذه الطبعة من الصحيفة تم جمعها قبل ان تصل المكتبات ليبرهن له ان جهاز االمن والشرطة تلم بكل صغيرة وكبيرة في الدولة, وقال له بالحرف الواحد

- هذه خدمة صغيرة جدا مقابل ما تقدمه لنا, ارجوا ان نكون قد رددنا بعض من حسناتك, ابتسم في خبث وهو يطوي الصحيفة ثم قال,

- ال, هذه خدمة منك لشخصي الضعيف, بالإضافة للنجمتين على كتف الفاتح, أتمنى أن تسنح لي الفرصة لردهم لك وإن كنت أطمح في كرمك و أن تكمل معروفك لي, أريد أن أحتسي كوب من الشاي مع ذلك الصحفي على انفراد .

نهض الجنرال وخلفه بقية الحضور ليردوا التحية العسكرية للضباط المتخرجين ثم قال وهو يجلس. .

- لقد رتبت مسبقا لهذا اللقاء ستلتقي به في جبرة في بيت ناميكا, وأكمل,

- القيادة تضع آمال عريضة عليك لقيادة منطقة الخرطوم و من االن تريد أن تجهزك ل انتخابات العام 2015م فملف عملك بمحلية الخرطوم ظهر على السطح و يبدو أن الشعب رأى فيك الرجل المناسب له و تلقينا أوامر بتلميع صورتك لذا ال تقلق.

هتف قائال,

- هذا من دواعي سروري أن أعود للخدمة مرة أخرى, و االن بت أكثر إدراكا بمواطني محلية الخرطوم.
واصل حديثه وهم يغادرون المنصة, واعرف كل شيء عن اإلداريين في المحلية, فهمس له الجنرال,

يبدوا أنك انت التقدير سيتم ترشيحك لمقعد الوالي, يا موالنا كرار التهامي. و بعد أسبوع عثر على الصحفي وعربته في النيل االزرق, تحديدا تحت جسر النيل االزرق- , خرجت بعض الصحف حينها لتهاجم الحكومة بسبب سوء صيانتها للحواجز الجانبية للجسر
مما يؤدي للحوادث التي كثرت في ذلك الكبرى تحديدا و بنفس الطريقة.

التي ال تصطاد اال صحفيين أو إعالميين أو حتى محاميين ففي االسبوعين الماضيين توفى ثالثة صحفيين و إعالمي في حادثتين بنفس سيناريو هذا الحادث وتكاد تكون مواقع سقوط العربات الثالثة متقاربة للحد الذي يثير الريبة و لكن لم يجرؤ أحد لقول ذلك, ربما هنالك أحد قالها واتهم الحكومة بذلك بل الشعب كله قالها لكن فقط في سره.

تم تعيين المالزم أول الفاتح كرار التهامي رئيسا لقسم شرطة جبرة, وقد فرض سيطرته منذ يومه االول, حيث قام بتحويل أحد ضباط الصف للتحقيق و أجبره لالعتزار ألحد المواطنين,

حيث اشتكى للضابط أنه كان يقود عربته الكارو) عربة يقودها الحمار(أمام منزل الرقيب أول الموقوف و هذه طبيعة عمله أن يشتري الحديد الخردة و يعيد بيعه لمصانع إعادة تدوير في المنطقة الصناعية الشاحنات , و يبدوا أنه أزعجه بمايكروفون صغير يضعه في مؤخرة العربة, يعمل فيه تسجيل بشكل تلقائي,

خرد خرد خررد ياا, حديد عربات, تالجات, غساالت, خررد يا,

حينما خرج له الرقيب أول وصاح فيه,

لعنك هللا أيها االحمق ,اغلق فمك يا ابن الفاجرة. وقام بضرب حماره بحجر ضخم, فما كان منه إال وقام بالنيل منه وضربه ثالثة مرات- بالعصا التي يهش بها حماره, فإعتقله وزج به في القسم وترك عربته في الطريق العام
دون أن يسمح له بإعادتها إلى منزله.

كان يروي قصته هذه للضابط الذي يجلس جواره. . وهو يختنق بالعبرة ثم أكمل وتكاد دموعه تفر من عينيه,

- ذنبي شنو يا سعادتك أنا؟ يعني الواحد يخلي ليهم البلد دي؟.

صاح حانقا في الرقيب أول و لم يمنحه فرصة الدفاع عن نفسه,

- أنت موقوف عن العمل

ثم إلتفت للرجل و واساه بجملتين ثم قدم له منديل من الورق أبيض اللون ماركة فاين و طلب منه أن يصف عربته وحماره و إن لم تكن في مكانها بحلول الغد سوف تكون في منزله.

و قبل أن يكمل حديثه كان شيخ التهامي بصحبة صديقه الجنرال يقفون بالباب و قد سمعوا جزء من قصة هذا الرجل, أدى الفاتح التحية العسكرية للجنرال الطيب عباس ثم أمر بائع الخردة المسكين الذهاب إلى منزله و قبل أن يغادر أوقفه شيخ التهامي وسأله عن وضعه االجتماعي ومصادر دخله وعدد أفراد أسرته, ثم قبل أن يجيب عليه اخرج هاتفه وأجرى اتصال وصاح

بمحدثه, -

شوف مخزن الشركة كان في ركشة)توكتوك(هناك بكرة تجيبها قسم جبرة تسلمها للضابط المسؤول.

واغلق الخط ثم قال للرجل بنبرة حانية,

- بكرة تجي تستلم ركشتك من هنا, واي وقت احتجت لحاجة تجي للضابط دا تكلموا.

لم يتمالك الرجل نفسه و نفرت منه دموعه ثم هتف بصوت متحمس متكسر,

- ربنا يكتر من أمثالك يا موالنا, ربنا يديك ألفي مرادك ويديم عزك.

ثم هرول خارج المكتب وهو يردد,

هلا أكبر, هلا أكبر, يحيا العدل, هلا أكبر.

و ما هي إال دقائق حتى صاح الفاتح في أبيه معاتبا,

- العب)العبد(دا أنت عايز تديهو ركشة,

ابتسم الجنرال و هو يجلس بجانب شيخ التهامي, وقال للفاتح مهدئا بإشارة من يده, كان يعرف خباثة صديقه,

- دي نصيبو يا ولدي, لكن ما معروف هل بتدوم عندوا و ال ال.

هدءت عيناه الغاضبتان ثم إستأذنهم ليحضر لهم شيئا ليشرباه وتركهم يتحادثون في ما بينهم.

كانت تلك أول زيارة من كرار التهامي لقسم الشرطة الذي يديره ابنه االكبر, جاء برفقة صديقه ليطمئن على اليوم ألاول ألبنه في العمل وقد وجد أنه بسط سيطرته تماما.

و في المساء كان الفاتح برفقة الرقيب أول الموقوف يحتسيان القهوة في أحد الغرف, كانت مظلمة إل بعض من االضواء الحمراء التي تلمع بين الفينة واألخرى و رائحة البخور تعم االرجاء. دخلت أثيوبية تمشي في إغراء مصطنع لتضع إبريق آخر من القهوة و برفقته فنينة من الويسكي الفاخر, قال الفاتح للرقيب أول وهو يضرب الفتاة في فخذها, - خذ أسبوع إجازة, ال اريد أن ابدو منافقا امام العساكر في القسم, لم يكن عليك أن تضعه في الزنزانة الخارجية, حينها لم يكن ليجد فرصة ليشتكي لي.

ابتسم الرقيب أول وهو يرتشف من الويسكي الذي يفيض حيوية و يتراقص من الثلج و استطرد,

- ال بأس يا سيدي, لم يخطر ببالي أنه سيشتكي لك, لكن هذا المكان يشبه الجنة وهؤالء الحسناوات تشبهن الحور العين دعنا ننسى العمل و نتنعم هنا فهذه الفرصة لن تتكرر.

قهقه الفاتح بصوت مرتفع بصورة غير مؤدبة وهو يواصل ارتشاف كأس خلف كأس ثم غمز له قائل,

- لدينا خالف هذا المكان أربعة عشر, و أكملوا مسامرتهم بالترنح و الضحكات العالية الثملة.

و بعد مضي ساعتين بالتمام والكمال كان االثنان في حالة سكر تام فتكفلت اثنتان من االثيوبيات الطيبات بحملهم و إدخالهم لغرف مخصصة فقط لالستخدام السيء.

في صبيحة اليوم التالي كان الرجل يتسلم التوكتوك من القسم وسط تهليالت و تكبيرات من بعض العطالى طيبي القلوب, و بعض الشباب الذين ال عمل لهم سوى التجول في السوشيال ميديا, فسوف تكون قصته هذه حديثا دسما أليام بل و أخذوا معه الصور التذكارية و لزيادة الدراما, عاد نفس الرقيب أول و اعتزر للرجل المسكين مرة أخرى و قام بتسليمه جائزته و معها قبلة على الرأس.

ابتسم الضابط الذي يراقب الموقف من نافذة مكتبه مدهوشا من طيبة و هشاشة عواطف و أحاسيس هؤالء المساكين,

فذلك ليس له أي نصيب من الكعكة التي نالها الرجل, فرغم ذلك هو فرحا بصورة كبيرة جدا, و لم يكن الفاتح يتصور أن هنالك من يحب الخير لآلخرين بهذه الصورة, و هو في قراره نفسه يريد أن يفرغ طلقات مسدسه في رأس هذا الرجل فهو ال يستحق هذا التوكتوك, في الحقيقة والده ال يحتاج له فلو أنه أهدى كل يوم مائة توكتوك للفقراء أمثاله فلن يضره شيئا.

لكنه يبغضهم بال سبب ال يحب اللون االسود أبدا, ال يراهم إل عبيدا له و ألسرته, يرى أن العرب هم أولى بكل قرش في السودا و أنهم االسياد و جميع البقية هم عبيدا لهم, فكلما هو أسود هو أقبح شيء وآخر شيء.

كان يرى سعادة هؤلاء المعدمين الشحاذين بشيئا يملكه غيرهم أكثر من سعادته هو بالمهنة الجميلة و الراقيةو الحساب البنكي الذي يتخطى مليون دولار, خالف العقارات التي تتخطى خمسون عقار ما بين مبني و غير مبني, لكنه ال يشعر بالسعادة بعد, فهو تربى وسط

هذه الأشياء و ال يشعر بشيء حيالها, فلم يتعب للوصول لها, لكنه اعتزم أن يستخدم نقاط ضعفهم هذه في فرض حبهم له , فوالده يحضر لالنتخابات و يريد أن يبدوا االبن المثالي للوالي الذي جاء بأمر الشعب.

اعتاد شيخ التهامي على تدليل أبنائه كثيرا وبشكل فيه بعض المبالغة ابنه السموأل ليس

ألنه الأصغر فقط بل ألنه يذكره بأبيه نسبة للتشابه الكثير الذي يحمله لجده, رغم أن مالمحه أقرب للمالمح الأثيوبية, أما هو ذو بشرة سمراء أقل تفتحا من بشرة أبنائه الفاتح و السموأل.

قد الزم الشك أولئك الذين يحفظون تاريخ كرار التهامي بشأن زواجه من أثيوبية أبان فترة عمله في تهريبهم من والية القضارف إلى الخرطوم و رجحوا أنه أقام معها عالقة دامت

خمسة أعوام و بعدها هربت و تركت له و لديه السموأل وابنه الفاتح. و النشغاله براحة قادته و متعتهم لم يشرف على تربية ابنه السموأل بصورة سليمة, لذا مع

فرط الأموال بين يديه و جد راحته في الصرف على نفسه ببزخ, و قاد أول عربة له حينما كان ما يزال في السابعة عشرة من عمره, فقد أهداه والده شيفروليه حمراء موديل 2010م بمناسبة

االحتفال بعيد ميالده السابع عشر, و في خالل شهرين فقط ارتكب خمسة عشر مخالفة, فعاقبه و

الده و حرمه من القيادة و قام بتوفير سائق خاص له و ليكون رفيقا له في كل مشاويره.

وألول مرة شعر كرار التهامي أن ابنه لم يعد طفال و قد اكتملت رجولته حينما صادفه

في إحدى بيوت الدعارة التي يديرها بمنطقة جبرة. كان برفقة

إحدى الأثيوبيات, كأنا االثنين فقط و الشيطان ثالثهم, و الشيطان لن يجد أسهل من أثنان اختلوا ببعضهم البعض بقصد الفاحشة لغوايتهم.

لم يحرك السموأل ساكنا عندما اقتحم كرار التهامي الغرفة و لحيته الضخمة تبعثرت هيئتها بعد أن صدم وجهه بستار من قماش أحمر مدمج به ببعض الخرز البيضاء و الزرقاء, التي يتم جلبها من ساحل العاج وجنوب أفريقيا,

بعد أن انتبه لوالده, قال له بينما ما يزال يمسك بخصرها بإحكام,

- عليك أن تحترم خصوصية المكان.
أسف, قالها كرار التهامي مبتسما ثم خرج فقط بهذه البساطة.

ثم استطرد يوجه حديثه لرجل بهيئة مزرية تفوح منه رائحه نتنة أشبه بإطار العربة المحروق,
- كان عليك أن تمنحه فتاة صغيرة في سنه, أنت تعلم أن ناميكا هذه لي أنا فقط.
قال ذلك وهو يغادر دون إن يستمع لتبريراته.
هذه الواقعة كان شيخ كرار يزكرها كثيرا أمام قادته في التنظيم متفاخرا بها بصورة وقحة جدا, لكن كان للفاتح رأي آخر الذي نبه والده, أن أي فعل من أفعال السموأل أن وصل للصحافة سوف يضر بصورته وقد ذكره بان الناس قد بدأت تمجد كرار التهامي الرجل الطيب و
صديق المساكين, و أشار عليه التخاذ و احد من خياران, اما أن يزوجه أثيوبية لتظل معه هنا في المنزل شرط ان يكون الزواج سرا, اما أن يمنعه عن الذهاب إلى تلك البيوت, و بعد أسبوع كان
االتفاق بينهم أن يزور بيت واحد كل أسبوعين.

لم يكن في أحالم السموأل فعل شيء في حياته مستقبال هو يعيش كل شيء حاضرا, حتى حان موعد امتحان الشهادة الثانوية, و قد طمأنه والده أنه سوف ينجح نجاحا باهرا, عليه فقط أن يذهب لالمتحان و أن يجتهد في كتابة اسمه فقط, و سيكون عليه أن يستعد من االن لدخول كلية االقتصاد تاركا له حرية اختيار الجامعة, و أن ال يشغل باله بشيء اسمه خدمة وطنية فقد قال له بالحرف الواحد إن الخدمة الوطنية هي للعبيد السود إنما هم أسياد السودان, و قد وقع اختياره على جامعة النيلين.

إنه يضمر لك الشر, كثير من الشر

كانت ما تزال رقية بعمر الثالثة عشرة و كان يصغرها مرتضى بأربعة أعوام حينما توفى والديهم بانفجار أسطوانة غاز فى إحدى المطاعم الصغيرة في

موقف الباصات جوار إستاد الخرطوم بالسوق العربي الخرطوم, و تركا عناء تربيتهم لعمهم حسن توأم أبيهم حسين.

سكن حسين و زوجته فتحية منطقة السلمة أواخر العام 2004م حيث كان يعمل مدرسا لمادة الفقه و العقيدة لمرحلة الأساس في مسقط رأسه بمدينة زالنجي ثم عين مديرا للمدرسة بعد وفاة المدير.

تم نقله للعمل موجها بوزارة التربية و التعليم بوالية الخرطوم بعد خريف 2004م و نسبة لغلاء المعيشة في تلك الفترة باع منزله في زالنجي و اشترى له كارو)عربة حمار(لتعينه في الرزق بعد دوامه الذي ينتهي الثانية ظهرا و قد منحه توأمه حسين

منزله الآخر في السلمة ليسكن فيه بانتظار أن تمنحه الوزارة منزال لتقطنه أسرته, وظل بانتظار وعودها الكاذبة طيلة العامين والنصف, حتى اختاره القدر برفقة زوجته

حينما كأنا يقتنيان بعض الأدوات المنزلية الجديدة في السوق العربي الخرطوم, حيث كأنا يمران بالقرب من إحدى الأكشاك التي تقدم الأطعمة السريعة و بإهمال بسيط من صاحب الكشك, حيث لم ينتبه للخرطوم الذي يصل الغاز من الأسطوانة بجهاز الإشعال الذي تمزق من كثرة االحتكاك بقاعدة الطربيزة الحادة, أشعل الثقاب و في غمضة عين كانت دائرة االنفجار قد أحصت سبعة و عشرون شهيدا كان هو أولهم و لم يستطيع المدرس حسين وزوجته إيصال جهاز الخالط

الجديد إلى منزله حيث كان أبناءه موعودون بعصير البرتقال الفريش. فاق الصغيران من الصدمة بعد شهرين و قد قاما بزيارة قبري والديهم للمرة الأولى معلنان قبولهم بقضاء هللا وقدره, و لم يعتادا فقد والديهم بعد حتى صدمهم عمهم حسين بأمر آخر, حيث بكل وقاحة طلب منهم الخروج من المنزل وأخذ أشيائهم و كل ما يخص والديهم ألنه سيبيعه

لحاجته الماسة للمال, ولم يكن بحوزتهم شيئا يستطيعون أخذه سوى عربة الكارو حمارها و كم جلباب لوالدتهم و قميصين و ثالثة سروال لوالدهم و حافظة مياه متوسطة الطول كانت والدتهم اشترتها لتبيع فيها آليسكريم المصنوع يدويا في المنازل.

و ذاد الحاج حسن من وقاحته فقد قام بتجهيز الكارو في الحمار بنفسه و رتب لهم أشيائهم القليلة و لم يكن يملك والداهم شيئا في المنزل من أثاث و خالفه ثم ودعهم متمنيا لهم الحظ الطيب.

لم يكن مرتضى يعي ما يحدث لكن كانت رقية قد فهمت كل ما يضمره عمهم, حيث قالت له بينما كان مشغول بتسوية سرج الحمار وربطه بإحكام:

- إذا طردتنا من المنزل أين نذهب يا عمي؟ بل أين ننام و نجد الطعام؟

لم يأبه لحديثها و قال لهم بكل برودة أعصاب و المباالة , وهو يرفع مرتضى في العربة,

- تمسك جيدا أنت الرجل اآلن, عليك أن تتحمل المسؤولية وتحمي أختك.

قاطعه مرتضى و تقاسيم وجهه التائهة تتقطع لها أوصال القلب:

- إذا دعنا نتناول شيئا ثم سنذهب, أنني أشعر بالجوع يا عمي.
حينها تدخلت عجوز كانت تراقب القصة من بدايتها وقالت لمرتضى وهي تمسك بلجام الحمار, تعالا معي سنتناول الطعام مع بعضنا, ثم قادت الحمار وكانت ردة فعل عمهم باردة جدا حيث لوح لهم بالوداع و أكتفى بالدعاء لهم بالتوفيق في حياتهم, اقتادت العجوز الحمار سيرا على
قدميها حيث منزلها طرف الحي.

هذه الحاجة عفاف ال أحد يعرف من أين جاءت لكنها ظهرت في الحي قبل عام و نصف أقامت لها راكوبة)غرفة مبنية من القش و سيقان االشجار و بعض االكياس الكبيرة)وغلفتها بالكرتون تقتات من عملها ببيع المأكولات في مدرسة االساس الوحيدة في الحي حتى
الثانية ظهرا, ثم تنتقل لبيع الوجبات السريعة في سوق السلمة حتى المغرب, و تعمل كل يوم جمعة في البيوت, حيث تغسل االواني والمالبس و تجيد الطبخ باإلضافة ألعمال النظافة,
ال أحد لها, عرف عنها طيبتها, و رغم وضعها المادي الصعب إال أنها لم تحتاج أن تشحذ في االسواق و أمام المساجد كما تفعل نساء ببيوتهم و أزواجهم و أبنائهم.

لم يسمع عنها إال الخير و الكلمة الطيبة وعرف عنها أيضا أنها تقدم كل يوم جمعة وجبة)البلية العدسية(باإلضافة إلى (الزالبية اللذيذة(للمصلين في المسجد صدقة لوجه هللا تعالى.
استقر الطفالن معها حيث وجدا عندها االمان و الحنان الذي لم يجداه عند عمهم, و كان واضح جليا لدى رقية أن عمهم يحقد عليهم, في الحقيقة هو يبغضهم جدا, فمنذ حياة أبويهم كان يعاملهم بقسوة و جفاف شديدين و لم يخفى عليها سبب ذلك, فهو لم يرزق بأبناء لذلك و جدوا منه هذه المعاملة غير اإلنسانية و تأكدت لها مقولة والدها حينما طلبت منه ذات صباح أن يخبرها
بنصيحة بدال من اخذ الحلوى التى قدمها لها حينها حيث قال لها, البد لإلنسان ان ال يحكم على أخيه اإلنسان من معاملته الظاهرية فهو في الشدائد سوف يظهر معدنه, و من كنت تظنه
يحب الخير لك ربما تكتشف أنه يضمر لك الشر كثير من الشر.

تأقلما سريعا في حياتهم الجديدة برفقة الحاجة عفاف, و ألن وزارة التربية و التعليم قررت أن تتكفل بتعليم ابن واحد من أبناء العاملين في مجال التدريس كان من السهل

عليهم مواصلة دراستهم معا, حيث قاما بتأجير عربة الكارو لجارهم مصطفى الجنوبي بالإضافة لما تجمعه الحاجة عفاف مما ما قسمه هلالا لها استطاعوا توفير الرسوم الدراسية ألخيها مرتضى ليدرس في المدرسة القريبة بينما هي تدرس في مدرسة البنات التي قررتها وزارة التربية و التعليم لها و التي تبعد مسافة النصف ساعة هرولة من منزلهم.

رغم حياتهم التعيسة إال أنهم قرروا أن يصنعوا سعادتهم بأنفسهم ولم يهتموا حقا بما سيؤول إليه مستقبلهم دون والديهم, و أن الحاجة عفاف في ختام رحلتها الطويلة من مشقات الحياة,

رغم ذلك كانت رقية تقلق نفسها بأسئلة على شاكلة, ماذا سيفعلون أن توفت الحاجة عفاف؟

ماذا أن جاءت عربة البوليس و قامت بهدم الراكوبة التي يسكنون بها أين يذهبون؟

ففي ألسبوع قبل الماضي شهدت بأم عينها و هي عائدة من السوق قيام الشرطة بهدم غرفة مبنية خلف المسجد الكبير, كان يقيم فيها رجل يقال إنه متصوف قادم من مكان بعيد, هي لم تفهم ما المقصود بكلمة متصوف لكنها رجحت حسب نبرة الناس المشفقة الذين كانوا حضورا حينها أنه أكثر فقرا منهم, رغم ذلك قامت الشرطة بهدم الغرفة التي قام المصلين في إحدى الجمعات ببناء نصفها وفي الجمعة التي تليها أكملوا الباقي و في الجمعة التي تليها قاموا بسقفها, لم تتوانى الشرطة في هدمها ولم يقدروا وضع المتصوف المسكين, إذا إن علموا بوضعهم هنا لن يبخلوا بالجهد الذي يجعلهم ينزعون الكرتون عن هذه الراكوبة و سيقان ألشجـــــار المربوطة بالقش, ربما عليهم رمي عود ثقاب مشتعل و هو سيتكفل بإعداد وجبة اإلفطار لهم.

أما مرتضى ال يشغل نفسه أبدا بهكذا أمور, في الحقيقة لم يفتقد في حياته سوى والديه و اهتمامهم به, و لو أنه يبدوا سعيدا بتوقف منعهم له من اللعب حافي القدمين و في أحيانا قليلة تجبره رقية الرتداء حذائه و إال ستخبر معلمته, هو ما زال يحتفظ بنفس صديقه القديم فهم لم يبتعدوا بعيدا من منزل عمهم الذي قد تم بيعه ألسرة سودانية سوف تصل من كندا بعد شهور قليلة من إنتقالهم لرعاية الحاجة عفاف. مازال يلعب مع صديقه الوحيد كوما نفيسي كوة, هو صديق مسيحي تعرف عليه منذ يومه ألول في المنطقة جاء من منطقة كاودا برفقة أسرته هربا من الحروب و حمالت التطهير العرقي من منطقة جبال النوبة, حيث لعب معه في يومه ألول في المنطقة كرة القدم منذ الثانية ظهرا حتى السابعة مساء, حيث يتوقفون عن اللعب في هذا الوقت دائما, مهما كان نوع اللعبة التي يلعبونها يتوقفون عندما يرتفع أذان المغرب, و مازال كوما يحتفظ بنفس الحذاء الرياضي الذي كان معه قبل عام و نصف, ولم يتوقف عن منح القطعة اليسرى من الحزاء القديم لمرتضى ويحتفظ باليمنى, يتقاسمون كل شيء فيما بينهم, و تقريبا لعبوا كل شيء معا في العام و نصف العام هذا.

لعبوا)شليل وينو(و التي يلعبونها حينما يكون البدر في بداية دورته تحديدا عندما يكون هالال حيث يجتمعون لما يقارب السبعة طفل في المساحة التي تتوسط الحي,

يرمي أحدهم بعظم صغير ثم يصيح فيهم و هم يرددون من بعده,

- شليل وينو

آكلو الدودو

- شليل كان راح؟

آكلو التمساح

ثم يرميه بعيدا في الظالم ويصيح بصوت اعلى,

- شال وراح

و الجملة االلخيرة هذه بمثابة إعالن لهم ببدء البحث عن العظم ومن يجده يهرب به حتى يعود إلى الدائرة التي يسمونها (الميس) و على من يعثر عليه الحزر من من أن يقبضونه, ألنهم سينهالون عليه بالضرب الغير مبرح ويقتلعونه منه, فإن وصل قبل أن يصلون إليه يكون فائزا

بالجولة, و عليه الدور ليرميه ثم يبدءون جولة أخرى, يلعبون هكذا حتى ينتصف الليل تماما. أما في الليالي التى يكون فيها البدر مكتمال او شبه مكتمل, فهم يلعبون دائما لعبة)الكرنغ)و

هم يستمدونها من رقصة تراثية قديمة,

حيث يصطف االوالد و البنات في صفين متوازيين, وجوه كل صف مقابلة لوجوه الصف الثاني, ثم يخرج أحدهم اختياريا و في الغالب يخرج أوال ولد ليختار بنت ترقص معه, ثم

جميعهم يغنون للثنائي االغاني التراثية, ليرقصوا في المنتصف بين الصفين.

هم يحفظون طريقة الرقص, حيث يبرز الراقص صدره إلى االمام, و يفرد يداه في المنتصف تماما, و يحني رأسه لأسفل قليال حيث يكون نظره على قدميه و يضرب بقدمه اليمنى االرض بلحن موسيقي معروف يجيدونه جميعا, ويبدءون دائما اللعبة بمقطع

أغنية واحدة لن ينساها احدهم , أغنية)زينوبة(للفنان الراحل محمود عبدالعزيز.

يوم الخميس الفات كرن جاني يوم

الخميس الفات صوت الكرنغ جاني

مشيت للحفلة لقيتها زينوبه داير أقول

ليها احكيلها عن ريدي داير أقول ليها

احكيلها عن حبي شعرت بي رعشة طار

الكالم مني

وشلت خالص قلبي وحبيت زينوبة
حبيت زينووووووبااااا حبيت زينوبة

يرقص الثنائي حتى يتعب أحدهم معلنا استسالمه و هزيمته, فيقف جانبا خلف صف فريقه, ثم يختار الفائز منافسا آخر له, و يستمرون هكذا حتى آخر واحد في أحد الفريقين, ثم يعلنوا الفريق الفائز, و يعيدون الكرة مرة أخرى.

اما في النهار فهم يركضون بإطارات السيارات المعطوبة, يقودونها امامهم كأنها سياراتهم الجديدة, ال يهتمون إن كان هذا من الجنوب أو الشرق, و ال يفرق معهم إن كان هذا اسودا أو أبيض يلعبون ليتسلوا فقط, ليعودوا أكثر شغفا في اليوم التالي, بزكريات المنتصر و المهزوم في المرة السابقة.

لكن بعض من أسرهم التي تشبعت بالعنصرية تمنعهم من اللعب مع ذلك النوباري, و تلك البرقاوية, يزرعون فيهم الجهوية و التعصب إلثني منذ نعومة أظافرهم.

يرسلونهم لبقالة الفوراوي, و طاحونة ادروب, و مخبز المحسي, ينهونهم بل يهددونهم أن ال يشتروا الصابون من الشايقي ألنه يغش في الميزان, و ال يشربون من سبيل الجوامعي الن كلبه يشرب منه, هم يحبون اختالفهم و خلفياتهم متعددة القبائل, ال يحبون العنصرية, و ال يؤيدونها أبدا لكنهم يجدونها من أسرهم ومدرسيهم, لطالما الحظوا هذا التمييز االثني لديهم, حتى في برامج التسلية على التلفزيون القومي, هذا رباطابي لئيم و بديري جشع, و جعلي أحمق, و ذلك فالتي يخاف من الكالب, باختصار هم يتنقلون فقط من العنصرية من جيل إلى جيل وال يعلمون بذلك.

إن العنصرية تجري في دمائهم, تخرج مع ثاني أكسيد الكربون يعيشون بها وعليها واليها, يدمنونها جدا واعتادوا عليها في جميع شؤون حياتهم.

مضت االن تسعة أشهر على وفاة والديهم, و قد اعتادا على غيابهم الكثير عندما كأنا على قيد الحياة, حيث كان والدهم يعمل مديرا لمدرسة زالنجي االساسية ,يقضي جل أيام االسبوع في المدرسة, باإلضافة لكونه المدير كان مشرف سكن الطالب القادمون من القرى, و كان يقضي
بقية اليوم يرفه عليهم, و يراجع لهم دروسهم و يهتم بكل تفاصيل حياتهم و ال يعود لمنزله اال نهاية كل يوم خميس و يذهب يوم السبت صباحا, اما والدتهم فكانت تعمل في منظمة

الهالل الأحمر, حيث تقضي طول النهار تهتم بالمرضى بمستشفى زالنجي الوحيد, في الحقيقة كان مركز صحي فقط, لذلك لم يجدا صعوبة في التأقلم على فراقهم, و لو أن فراقهم هذه المرة أبدي, وال أصعب من فراق أبدي ال أمل في رجعة منه.

و في مساء إحدى الجمعات كان مرتضى يلعب, عروسة وعريس مع بضعمن اترابه من الوالد و البنات لم يتخطوا حاجز العشرة أعوام وب صفته رجل بيت في اللعبة, خرج ليعمل و كان عليه البحث عن نواة المانجو, ليقدمها على أنها لحوم, فزوجته المزعومة في اللعبة تقوم بإزالة القشرة الصلبة لتحصل على النواة المرنة بداخلها, بينما كان يبحث وعيناه الصغيرتان تدققان النظر على الأرض و دون أن يشعر وجد نفسه أمام منزلهم القديم, أو منزل عمهم سابقا, و ال إراديا قام بطرقه, يعلم أن المنزل تم بيعه, و ان عمه غير موجود لكنه رغم ذلك طرقه, كان ينتابه شعور لم يألفه من قبل, شعور بالحاجة للرجوع الى الماضي.

بعد أن انتظر طويال دون إجابة, هم بمواصلة البحث عن اللحم لزوجته, جاءه صوت من الداخل, يبدو جليا أنه صوت طفل,أظهر وجهه فقط ليترك بقية جسده خلف الباب بدت مالمحه أنه يكبر مرتضى بخمسة أو ربما بستة أعوام قال له,

- من أنت؟

أنا مرتضى, أترغب باللعب معنا؟ لم يعرف حقا لما طلب منه ذلك ربما لم يجد شيئا آخر ليقوله, و لكن قد نجح الأمر و وافق.

خرج معه, كان يرتدي لباس قصير و قميص رياضي عليه كتابة باللغة إالنجليزية لم يفكر مرتضى ابدا في تهجئتها, كان يحك يداه التي هجم عليها الباعوض الليلة الماضية , و يخفي وجهه الشاحب من أشعة الشمس بيده اإلخرى.

- ما اسمك أنت؟

سأله مرتضى وهو يرفع نواة مانجو رطبة ملطخة بالتراب يبدو أنها رميت قبل قليل أجابه وهو ينظر إليه في إستغراب,

- اسمي يوسف, ماذا تفعل بهذه؟

نحن نلعب بها, ال تخف لن أتناولها, قال ذلك و هو يقدمه ألصدقائه و زوجته التى كانت تجلس بطريقة مصطنعة بالثوب الذي ترتديه, على أنه يريد اللعب معهم و ظل قرابة الثالثون ثانية يفكر في الشخصية التي سيقدمها معهم في اللعبة, و حينما عثر عليها التفت إليه ليجده عائدا من بعيد يحمل كيس أسود اللون و قدمه لهم قائل,

- حسنا دعونا نتناول هذه المانجو ونلعب بأجنتها, فهتف مرتضى مبتهجا, إذا أنت الجزار.

في هذا المناخ المفعم بالبراءة شب مرتضى حيث الحب يسود بينهم ال أحد يحمل في قلبه هما, إلى ماذا ستصبح عليه اإلمور يوما ما.

السلمة

تقع منطقة **السلمة** في الشريط الحدودي الجنوبي لوالية الخرطوم وال تفصلها عن والية الجزيرة إال المنطقة الصناعية صافوال.
رغم تعدد اللكنات واختالف النشأة بين قاطنيها إال أنهم ظلوا يحافظون على تماسكهم و ترابطهم, فمجتمعها يضم كل البائسين و المعدمين من الطبقة الفقيرة.

تجد بينهم المدرس والعامل **ألجير**, و تجد فني **الميكانيكا** وعمال المصانع, و **جنود** الشرطة, و **جنود** الجيش, تجد الممرضين و الممرضات تجد الشيوخ **أألتقياء** و **أولياء** هلال الصالحين, و تجد **أيضا** اللصوص و الفاسقين, و العاهرات, تجد الشواذ و بائعات الخمور البلدية, تجد طلبة الجامعات تجد المشردين و **العطالي** و فاقدي **أألبوين**, إن تمعنت النظر في النوادي نهارا ستجد

المثقفين و الفنانين, و ان تجولت ليال بين طرقاتها ستصادف مروجي المخدرات و **مدمنيها**, ستجد السكارى وموزعي الصدقات, ستصادف عصابات النيقرز و **ستجد** الشعراء و العبي كرة القدم, **أن** تحسست نسيمها البارد في الربع **أألخير** من الليل ستجد العشاق المتنعمين عبر همسات رقيقة تكسب من ورائها شركات االتصاالت ماليين الجنيهات, **وستجد** من يقيمون الليل دموعا و
نحيب, و **ستجد** من يقيمونه إيمانا و احتسابا.

أن تعرجت قليال ستصادف في طريقك ممن يتسابقون لصالة الصبح, و **ستجد** ممن يتسابقون للمواصالت, ستلتقي في طريقك بالكادحات الاتي **يعلون** اليتامى, و **الفاجرون** العائدون من حفالت المجون الصاخبة.

في تلك المنطقة ستجد كل هؤالء **والرابط** المشترك الوحيد بينهم هو الفقر, نعم الفقر فقط **وال** شيء سواه, ربما الجهل **أيضا**, لكن الفقر هو العامل المشترك الذي يشملهم جميعا. قد تجد ذلك لصا لكنه مع ذلك كريما جدا, و **قد** تجد هذا زاني لكنه بعيد كل البعد عن شبهة السكر, ستجد فيهم مئات من الصفات **التي** تناقض بعضها و ال تتفق إال فيهم, يعيشون في حب **وكره**, في **أمان** و **خطر**, يحترمون الكبار و ال يحترمونهم, يسرقون منك و في المسجد

يجمعون لك التبرعات, يعتدون عليك ثم يدفعوا عنك فاتورة المستشفى, أن أمعنت النظر فيهم جيدا ستشعر بهشاشة أحالمهم, وبساطة أمانيهم, ستشعر بدفء فقرهم, ستجدهم يحبون السودان كثيرا لكن يحبون قبائلهم أكثر من السودان.

يكرهون جارهم التنجراوي لكن عندما يمر بمحنة ما تجدهم أول من يتقدم الصفوف و يقدمون مساعدتهم دون أن ينتظرون موافقته, هم أشبه بوعاء ضخم صب فيه كل أنواع البشر.

و لموقعها النائي عن الواجهة كانت تفتقد ألبسط الخدمات من كهرباء و مياه,

بل وأصبحت وكرا الختباء عصابات السطو التي تنشط في سرقة منازل المترفين بالحياة

في ألحياء الراقية و أيضا بالفقراء أمثالهم, ال يهتمون أبدا من المسروق منه, همهم ألوحد هو المال, ال يهم إن كان صاحبه جمعه على مدى أربعون عاما, أو أربعون ساعة, بل أصبحت بؤرة للفساد و االنحالل ألخالقي و المجتمعي, حيث العاهرات يتاجرون بلحمهم نهارا جهارا, يظهرون كل ما يملكونه من فن إلغراء الذي يحرمه الدين الحنيف اال ألزواجهم, في هذا

المجتمع شب مرتضى و وضع نصب عينه وضع مجتمعه و قضيته التي تحتاج للمعالجة, لذا قرر و منذ أن كان في الصف الثاني الثانوي أن يدرس االعالم و يصبح مصور فوتغرافي, لذا

ظل يدرس باجتهاد طيلة االعوام الماضية لضمان موقعه في كلية االعالم و جامعة الخرطوم تحديدا.

اما رقية فكانت كبرى اهدافها و احالمها ان يستطيع اخيها مواصلة دراسته و تحقيق حلمه, لذلك هي توقفت عن الدراسة منذ ان توفت الحاجة عفاف منذ ثمانية اعوام, و بعد معرفة المرأة القادمة من كندا التى اشترت منزل عمهم بقصتهم من ابنها يوسف قررت ان تتبناهم خصوصا

انها ليس لها اال ابن واحد وعقدت معهم اتفاقا. كان البد البنها يوسف أن يعود إلى كندا ليكمل مرحلة الثانوية هناك, و نسبة ألنها مقعدة كانت بحاجة لمن يهتم بها لذلك ضحت رقية بدراستها مقابل توفير السكن لها و ألخيها بعد وفاة الحاجة عفاف, و أيضا مرتضى لم ينسى المنزل الذي يحمل بعض من زكريات والديه, فقد دأب على

البقاء مع يوسف حتى ساعات متأخرة من الليل و سبق أن نام أثناء مشاهدة التلفاز ثالثة مرات, فقررت السيدة سامية أن تتبناهم بعد مالحظتها تعلق مرتضى الكبير بالمكان و حفظه لكل ركن

فيه, ليعودا إلى منزلهم معززين مكرمين بعد أن طردهم عمهم منه قبل تسعة أعوام.

و قد سمعوا قبل ثالثة أشهر من وفاة الحاجة عفاف, أن عمهم تم القبض عليه في إحدى بيوت الدعارة بمنطقة جبرة حيث أودع السجن و توفى فيه أثناء محاولته الهرب, وقع قتيال برصاص أحد المناوبين في الحراسة ليال, شعرت ببعض الحزن عليه لكنها لم تخبر مرتضى مطلقا, فهو في ألخير يكون عمها و نسخة من أبيها, وقد غفرت له فعلته تلك و دعت له بالرحمة و المغفرة فهي تتفهم شعوره بالوحدة, و تتفهم مشاعره الحانقة على حظه التعيس, فهو

تزوج قبل أبيها بأربعة أعوام, ثم تزوج مرة أخرى بعد والدة مرتضى لكنه لم يرزق باين أبدا, و اتضح الحقا انه مصاب بالعقم, وقد سمعت والداها يقول, ان اسوء شعور قد يمر به االنسان هو عجزه على ان يكون انسانا, و اسوء ما قد يمر به الرجل ان يكون عقيما, لكنها ليس نهاية الحياة

فهذه حكمة هللا.

بعد أسبوع من االن سيتوجب على أخيها مرتضى الذهاب لمعسكرات الخدمة الوطنية و قضاء خمسة و أربعون يوما من التمارين العسكرية ريثما تعلن نتيجة امتحان الشهادة السودانية.

نحن الزنوج ال مكان لنا في السودان اال الهامش

وصل مرتضى من بورتسودان في التاسعة مساء حيث قضى فترة التدريب في معسكر الخدمة الوطنية هناك, و لم ينتظر كرنفل تخريج دفعته, الساعة كانت تشير للتاسعة حينما وصل منطقة السلمة.

الطرقات ممتلئة بالماء القذر الذي تراكم جراء سوء التصريف أو لعدم وجود مصارف لتخزين مياه االمطار, و خريف ذلك العام كان كارثيا لسكان السلمة بل الخرطوم عامه, حيث تكاد تتوقف الحركة بأكملها إن لم تتعطل حياة البعض.

تظل المياه لشهور تعمر بمعسكرات الباعوض و توفر البيئة المالئمة لتكاثر الضفادع, و منطقة مهمشة كالسلمة ال أحد يهتم بها حتى إن ذهبت للجحيم, و هي الفرصة المناسبة ألصحاب العربات لزيادة تعرفة المواصالت حيث يتعلل أصحاب البصات بالخريف الذي يرفع من درجة تعرض العربات لألعطال, و كذلك الرتفاع تكاليف الصيانة و أسعار الوقود و التي ترتفع يوما بعد يوم منذ أن قامت الحكومة برفع الدعم عن المحروقات في العام المنصرم.

و لم يكن هذا العام أسوء بكثير من العام االماضي, حيث في العام الماضي كانت ردة الفعل عنيفة بعض الشيء, و خرج بعض المواطنون المغلوب على أمرهم على القرار واستغل اللصوص و ضعاف النفوس االحتجاجات ألعمال السرقة و النهب.

و في أحيانا كثيرة ال تستطيع الشرطة الدخول بعد مغيب الشمس لمناطق مثل السلمة, و مايو, و اإلنقاذ, وعد حسين, حرصا على سالمتهم.

لكن االن تغير االلمر قليال حيث تقبل الناس االلمر و ارتضوا بالواقع و ال امال لهم لنزول التعرفة او أي سلعة اخرى, فدائما ما يجد الناس العزر في رفع اسعار المنتجات االخرى بربطها برفع الدعم عن المحروقات, حيث بائعة الخضار تتعلل برفع الدعم عن المحروقات بزيادة سعر كيلو

الطماطم, و هي تشتريه من المزارع القريبة و في احيانا قليلة ان كانت متعبة لتذهب بقدميها
كانت ترسل احفادها بعربة الكارو, حتى الحالق زاد من سعر تسوية اللحية و الجميع يعلم ان
المقص اليدوي ال يحتاج ال ليد قوية, حتى محمود بائع البنقو المشهور بود عمك رفع من سعر
الربع متعلال بزياة سعر البنزين لدراجته النارية, اذا الموضوع موضوع ضمير ال غير.

لم يكن هنالك أحد في المنزل حيث اضطر مرتضى لتسلق الحائط, و بعد ربع ساعة عادت رقية
برفقة العمة سامية, و اعتزرا لمرتضى لتأخرهم عليه.

حيث كانوا يباركون النجاح لبنت جارتهم التي كانت من ضمن الممتحنين للشهادة الثانوية معه
في نفس العام, و قالت رقية بعطف, - أنها
صبرت و ثابرت للنجاح حيث كانت قد عادت ألمتحان للمرة الثالثة حتى
استطاعت إحراز نسبة نجاح 59 % و تستطيع الدراسة بنظام الدبلوم أو التعليم الخاص.
وكذلك أخبرته بأن يوسف سوف يعود أيضا بعد أسبوعين ليلتحق بالجامعة هنا في السودان.

في ألأيام التي تلت لم يكن هنالك شيء يذكر و كل مشاويره اقتصرت في قضاء الوقت برفقة
كوما الذي لم ينجح في الشهادة الثانوية و قد قرر أن يشتري لنفسه ركشة ليسترزق بها, و قد
عتب مرتضى عليه كثيرا عادة التدخين الجديدة, وأخبره أن التدخين يضر
بصحة ألإنسان ويؤثر على قراراته وأنه اتخذ قرار ترك الدراسة بناء على تأثيره عليه,
حتى إن لم يستطيع ترك السجائر البرنجي عليه ترك البنقو والحشيش,
لم يأبه كوما كثيرا لحديثه حتى لم يهتم بقصة الفتاة التي صبرت و عادت للمرة الثالثة لتنجح,
فهو قد فقد الدافع و ألألم بل فقد الحافز.

وقال لنفسه, ماذا سأفعل إن نجحت وتخرجت من الجامعة سيكون مصير شهادتي حيز صغير في حائط غرفتي,
فالمناصب ألبناء ألأغنياء والعرب, نحن الزنوج ال مكان لنا في
السودان ال الهامش, و ال مناصب لنا إل ألأعمال المهلكة التعيسة,
قال أيضا, إن أقصى طموحاتنا هي عمل نعيش عليه وزوجة جميلة ترضى بواقعنا.

مرتضى يعلم بذلك ألألم, يعرف حقيقة الفقراء أمثالهم و أبناء اللون ألأسود حيث مكانهم فقط
تحت ألأغنياء و أوالد الشمال مهما بلغ علمهم و قيمتهم للمجتمع, لكنه كان يقاتل
من أجل العكس, و لو أن والده كان ما يزال حيا لدعمه في قتاله و دفاعه عن تساوي الحقوق لكن عليه القتال وحده
ألآن , و هو لم ينسى حادثته مع موظفة السجل المدني حين كان عليه
استخراج بطاقة الرقم الوطني.

سألته, -

قبيلتك شنو

لم يستطيع قول شيء حينها شعر بأنه غريب عن كل هؤلاء الذين يجلسون في المكان, شعر أن كل واحد منهم ينتمي لدولة أخرى و جاء ليحصل على الجنسية السودانية, هم جميعهم

ينتمون لقبائل مختلفة لكنهم يريدون أن يكون سودانيون و يحتفظون بقبائلهم يا للطمع, لو كان االلمر بيده لمنع عنهم حصولهم على الهوية السودانية و أمرهم أن يعودوا و يأسسوا دولهم بأسماء قبائلهم, فالسودان للسودانيين و ليس للعنصريين, لكنه أجاب بكل انكسار و خضوع,

برقاوي.

طرق الباب طرقا خفيفا, بعد لحظات ليس بالكثيرة فتحت الباب, كانت عيناها بنيتان كبيرتان و شفتاها صغيرتان, بشرتها صفراء و وجه مدور. خمن أن طولها يقارب المائة و سبعون سنتمتر

فهو يعرف طوله لذا قرر أنه أطول منها بعشرة أو خمسة عشر سنتمتر.

سرقته بل مسحت عقله من على الوجود لم يكن يتذكر ماذا يفعل هنا وماذا يريد أو كيف وصل, هو فقط واقف يبحلق بها, حتى صاحت رقية من بعيد, أنه أخي مرتضى فعاد له وعيه و ابتسم للفاتنة التي أمامه, و التي تنحت جانبا و قالت و هي تنظم ثوبها المتساقط على االرض وتخفي

صدرها الكبير و خصرها الذي يفيض بالحيوية تحت القماش الضيق,

- أتفضل

حتى هي غابت عن الوعي شعوريا , لم تعرف ماذا تقول مع نظراته الحادة, فقط تركت نظراتها تتفحصه, شعره الكثيف و عينان صغيرتان سوداويتان و وجهه الطويل, لمحت فيه تلك الخشونة التى تتخيلها في يد النجارين و أيضا البؤس, و ندبه صغير أسفل عينه اليسرى, لم تحرك ساكن

حتى بعد أن فضل عدم الدخول و اصطحب رقية ومضى بعيدا. أخبرته رقية أن اسمها فاتن بعد أن الحظت تلميحاته المتكررة عنها, و ان والدتها مريضة بالسرطان, المعلومة االخيرة هذه أحزنته كثيرا, فإن مصيرها هو الموت فقط, و هو قد جرب شعور فقدان االم.

فهم ال يملكون أي شيء ليعالجوا به تلك المرأة المسكينة و ال يمكنهم أن يبيعوا منزلهم ليعالجوها, فال طاقة لهم إستئجار منزل في تلك االيام , كانت تتراقص هذه االفكار في رأسه بصورة ال إرادية.

وقد قرر أنه حالما يقبل في كلية الإعالم سوف يبدأ عمله الإنساني و الخيري بجمع التبرعات لهذه الأسرة الضعيفة, و ماليين من الألسر التي تحتاج مساعدته, فتلك حنان ست الشاي تتكفل بأربعة يتامى و بالطبع ما تجنيه من عملها يكفي وبعد كثير من التدبير طعامهم فقط. كذلك حاج مصطفى الرجل الجنوبي العجوز ال أحد له هنا فأهله قد توفوا في جنوب السودان و يعيش فقط من أداء بعض الأعمال الهامشية لسكان الحي من تجليد السرائر و

تعبئة الفحم ألصحاب المتاجر, و مرتضى نفسه يحتاج لتحسين وضعه االقتصادي فهو استطاع

بعد عمل شاق لمدة سبعة أشهر أن يمتلك دكان ألالعاب الفيديو و بالكاد سيخطئ تكاليفه الدراسية و مصاريفه الشخصية و قد إستأمن عليه شقيق كوما الصغير.

مرتضى جالس أمام منزلهم يسلي نفسه بمطالعة روايات ستيفن هوكينج, هو يحب الرسم أيضا و يفضل قراءة روايات نجيب محفوظ بدال من كتب علم النفس و الدواوين

الشعرية باستثناء دواوين أحمد شوقي و محمود درويش و نزار قباني يحب أيضا كتابات فاروق جويدة و بصورة أقل أمل دنقل.

جلس أمام باب منزلهم ينتظر أحدهم سوف يمر من امامه بعد لحظات قد تمكن الضجر منه و قرر أن يتوقف عن القراءة.

خرجت تلك الحسناء كان قد أعد نفسه طوال الساعة التي ظل ينتظرها فيها كيف سيفتح معها موضوع ما, ماذا سيقول حتى يزيل الحاجز الذي بينهم, لكنها هي من كان المبادر بالحديث, في مفاجأة لم تخطر بباله حتى في احالمه, اخذت منه القلم و دفتر الرسم و بدءت في تدوين شيئا ما

و قالت,

- هذا رقم هاتفي, سأنتظر ان ترسل لي أغاني محمود عبدالعزيز على الواتساب.

لقد تم االمر بسرعة وببساطة حتى دون عناء منه, و كان قد قرر في الليلة السابقة وضع خطة محكمة للحصول على رقم هاتفها, وقد اختصرت عليه االمر.

ثم بصورة ال إرادية و بغرابة فاجأته هو اجابها,

ال املك اغاني له في الحقيقة ال املك ال اغاني هندية, فوافقت عليها خائبة الظن. بعدها سخر من غبائه كان بإمكانه ان يتحصل عليهم من االنترنت, لكنها انقذت الوضع و

قد رضيت باالغاني الهندية ومضت. عاد الى

الداخل وظل يضحك على نفسه, كيف تصرف بتلك الطريقة مؤكد انها تستطيع

الحصول عليهم من أي شخص اخر, لكنها ترغب في الحديث معه بشكل خاص, هي قد انجذبت

لفكرة عالقة ما معه, عليه االن فقط ان يرسل بضع اغاني و سيجد المساحة الكافية للتقرب منها,

كان يفكر في ذلك و شفتاه قد اتعبهم تبسمه المرح.

وما هي ال بضع اغاني ارسهم لها حتى زالت كل الحواجز بينهم و تحدثا في كثير من المواضيع و بعض احالمهم و ما يريدون فعله في المستقبل, و وجد ان هدفها الوحيد يستحق ان تسعى اليه بكل الطرق, وهو ان تعالج والدتها مهما كان الثمن الذي ستدفعه من اجل ذلك, و

اختتم حديثه معها بأنه لم يستطيع ان يكون أي صداقة مع فتاة, ألن العرف السائد ان ال عالقة تجمع الفتاة بالولد سوى نوع واحد مهما اختلف الظاهر فان الجوهر هو حب فقط.

في االيام التى تلت لعب القدر دورا كبيرا في جمعهم بمواقف كثيرة و اهتمامات مشتركة, حتى انهم اصبحوا اكثر من اصدقاء, كان مرتضى يشعر ببهجة كبيرة جدا, فحياته اصبحت االن تمشي في طريق السعادة اخيرا, حتى ان اخته رقية قد اخبره يوسف بنيته التقدم لخطبتها حالما يتم قبوله في كلية الحقوق بجامعة الخرطوم و قد خطط ان يصطحبها معه الى كندا بعد التخرج. اخته ستجد سعادتها مؤخرا بعد ان افنت طفولتها في تربيته و السهر على راحته, االن النصيب سيبتسم لها, و قد طمأنها بانه سيكون على ما يرام و عليها ان تعيش حياتها االن بعيدا منه و سيتواصل معها عبر االنترنت فقد اصبح االمر سهل االن مع برامج و مواقع مثل الفيسبوك و الواتساب و االسكاي بي, ثم انها ستزوره كل عام, كان يقول لها ذلك وعيناه تكادان تنفجران بالدموع لكنه تمالك نفسه.

لم يكن يعرف كيف يعبر لها عن حبه, فقد لمح لها بما فيه الكفاية, ارسل لها اسمها على الواتساب بعد ان قام بكتابته بخط يده بصورة جميلة, او خيل له انها جميلة, حتى انه ارسل لها اغاني لكاظم الساهر وفيروز, وام كلثوم, لكنها لم تفهم و قد فسر االمر انها ال تهتم ألغاني هذا الثالثي, لم يكتفي بهذا بل اهداها كتاب رسائل الى ميلينيا, عسى وان تعرف انها ميلينيا قلبه وانه فرانز كافكا الخاص بها, و رغم ذلك لم تصارحه بحبها له رغم يقينه التام من االمر, و قد قرأ احدى الروايات تقول البطلة فيها,

ان النساء تحب الرجل المبادر و الشجاع قوي الشخصية, من يفرض حبه عليها بالود كان او بالقوة, لكن مرتضى لم يكن ممن يحبون ان يستخدمون القوة في الحب, ال يحب ان يعاملها كأنها خلقت لترضية الرجل, يريد ان يترك لها الخيار و ان يكون لها قرار, او النه لم يعامل فتاة هكذا من قبل و لم ترق له احداهن قبلها, في الحقيقة لم يتقرب من واحدة و لم يحاول حتى التفكير في االرتباط.

وعندما اصابه االحباط استشار كوما, و قد قرر ان يكون اخر خيار يلجأ له, لما يملكه صديقه من سخرية تصيب الحجر بالغضب, لكنه كان في غير عادته وقال له على طريقة الخبير,

هم- يا لك من غبي, حتى االن لم تفهم, لقد تقدمت منك خطوة لتتقدم انت, اجتازت نصف المسافة, وعليك ان تجتاز النصف الثاني, النساء يا صاحبي يفضلون الرجل الذي يبوح لهم بالحب,

يملكون حياء وعزة نفس انثوية قاتلة, قد تظل الفتاة صامتة تجاهك و باردة في التعامل معك و غير مبالية, لكنها تغرق وسادتها كل ليلة شوقا لك اذا لم تالحظ حبها لك.

نصحه بان يتقدم خطوة, عليه ان يكسر حاجز الخوف الذي يستعمره, ان يتحلى ببعض من الشجاعة و يعلن لها عن حبه, قبل ان يختطفها المحسنين الذي يحلقون حولها.
تلك الليلة لم يستطيع

مرتضى ان ينام ظل طوال الليل يفكر في الصياغة المناسبة لقول االمر, انا احبك, ال ال

انا مغرم بك,

سحقا

لقد اعجبتني,

و لم يستقر على الجملة المناسبة حتى مطلع الفجر. ظل طوال االسبوع ينتظر ان يلتقيها, لكنه كان يتحاشى ذلك كلما الحت الفرصة المناسبة, كان يشعر بجسمه يتعرق و يرتجف كلما سمع صوتها قريبا منه, حتى ضيع اربعة فرص و قرر ان
يبوح لها على الواتساب .

في المساء قرر ان الوقت مناسب االن سيخبرها ال محالة, و في خضم حديث التحايا المعتاد باغتته بسؤال,
- هل لديك شخص في حياتك؟
نعم
- ما اسمها؟
فاتن, فاتن محمد
- حقا, يا للمصادفة ان اسمها يشبه اسمي.
وانت هل لديك؟
- نعم و اسمه مرتضى الحسن.
اعاد قراءة االسم خمسة مرات ثم قفز من السرير وهتف.

ظووووووط ياخ.

االن اكتملت الصورة لديه, هي تحبه , ظل طيلة أسبوعين يعيد قراءة تلك الرسائل يربط الخيوط مع بعضها قبل أن يخبر كوما بالموضوع الذي قطع كل شكوكه, و اكد له حقيقة مشاعرها

تجاهه.
خطف مرتضى منه السيجارة ورمى بها بعيدا ثم قرر أن يعزمه على كوب قهوة.

ليس من عادة مرتضى, بل إنه ال يحب أن يجلس هنا في هذا المكان, ليس ألنه مليء بالشباب العاملين و العاطلين عن العمل في نفس الوقت وليس الزدحامه بالسيارات, و الدراجات الهوائية المزعجة بل ألنه ال يحب سماع ما يتلفظون به من عبارات وشتائم , حيث يلعبون الورق و الضمنه و يشربون الشيشة في ركن تمت تسويته ببعض القش و أكياس الفحم الكبيرة, على حائط مدرسة أساسية للبنات و حائط لمنزل مجاور للمدرسة, و سمي ب)الجمبة(لصاحبها الحاج مقبول, الذي يعمل في النيابة كما زكر عن نفسه و لم يراه أحد في أي نيابة, و أمام هذه الجمبة تترامى بائعات الشاي و القهوة حيث تجلس حنان و أخرى تبيع الطعام, يجتمعون كلهم في مساحة و اسعة سميت ب)المثلث)

أقنعه كوما بان عليه اآلن, أن يقول لها مباشرة في وجهها أنه يحبها فاألمر أصبح واضحا, فهي قد انتبهت أخيرا لتلميحاته و قد قامت بالمثل فاآلن عليه أن ينهي هذا الحياء الطفولي بينهم, و قال أيضا بينما يضع ساق على ساق وهو يتناول رشفة من فنجان القهوة,

- أن الحب يا صديقي ثالث خطوات خطوة أولى منك و الثانية منها و الثالثة منك, ألنك الرجل و إال ستضيع من بين يديك, و اعتقد أنك أكثر البؤساء المحظوظين الذين تقربت منهم, في الحقيقة أنت المحظوظ الوحيد الذي تقربت منه, عليك ان ال تضيع الفرصة, و قد عزم مرتضى في نهاية الجلسة أن يصارحها في أقرب فرصة.

لم يستطيع التغلب على خوفه فهو رغم أنه يحادثها يوميا, إال أنه ما زال يستحي أن ينظر في عينيها بينما يحدثها مباشرة, و حاول في أكثر من مناسبة أن يتغلب على هذه المشكلة لكنه لم يستطيع, اال حينما يكون هنالك شخص ثالث برفقتهم, لكن عندما يكونا لوحدهم ال يستطيع, فهو لم يتحدث معها بانفراد إال في ثالثة حاالت, االولى حينما وقعت عيناه عليها أول مرة

والثانية حينما أخذ رقمها, أو دعونا نقول أعطته رقمها, و الثالثة كانت ليال حينما طلبت منه أن يصطحبها حتى منزلهم خوفا من الكالب التي تحتل الطريق, و في الحالتين االخيرتين لم

يكن بحاجة أن ينظر في عينيها, لذا اآلن وجد نفسه في امتحان صعب, و قد استغرق خمسة أيام ليستعد, و استطاع أخيرا أن يجد حل لمشكلته هذه, و هو ان يصارحها عن طريق مكالمة هاتفية بكل بساطة.

كان ال يريد ان يخبرها عن طريق الرسائل, ألن كوما اخبره, ان الحب يكون صادقا حينما تتحدث به مباشرة دون منح الطرف االخر فرصة للتهرب من الرد عليك, لذا قرر ان يخبرها عن طريق الهاتف و بعد ذلك سوف يطلب منها ان تخرج معه الى منتزه ما وسيستطيع بكل بساطة ان ينظر في عينيها و ان يمسك بيدها, و على كل حال فهي لن تستطيع ان تغلق الخط
عليه لذا لن تجد بد من االعتراف باالمر كذلك.

جلس على مبعدة عن كوما و أصدقائه الذين ال يعرفهم, ثم اتصل بها,

ودون سابق مقدمات وبعد تبادل التحايا قال,
- هل تزكرين حينما قلت لك إني أحب فتاة اسمها فاتن محمد؟
نعم اذكر
- في الحقيقة لم تكن اسمها فاتن محمد بل فاتن عمر, أنا أحبك أنت يا فاتن, احبك جدا,

صمتت لبرهة, ثم استجمعت أنفاسها, - حسنا هل

يمكنني االتصال بك الحقا احتاج لبعض الوقت, كما أنني مشغولة االن,

هكذا بكل بساطة اختصرت الموضوع وانتهى االمر.

للحظة ظن أنها تتهرب منه ول ا تريد أن تكسر بخاطره, لكنه حكم عقله و رجح أنها استحت منه, فالحياء لدى النساء طبيعة يولدون بها و ال ضير أن أخذت و قتها واستجمعت قوتها و صارحته فليس هنالك شيء يشغله.

لم تعاود االتصال به, مر اليوم االول, الثاني, الثالث, الخامس, أسبوع, ثم شيئا قد انكسر, لم يعد يشعر بشيء حوله, و في اليوم العاشر, لم تراسله على الواتساب كعادتها, كانت متصلة و لم ترسل له تحية المساء, أو دعابة النهار كما دلفت عادة, ماذا حدث لها, االن فقط شعر بدفء يسيل على خديه, حاول أن يكتم بكائه, تعالى عويله, لقد كسرت قلبه, يبدو ان أنه قد
ضاع االن و ال أمل له في العودة.

لماذا لم تحبه؟

ما الناقص فيه؟

ظل يسأل نفسه اسئلة على هذه الشاكلة, و لنشعر به أكثر دعونا نتسرب إلى أعماق روحه المرهفة.

لماذا لم تحبينني يا فاتن؟

ما العيب فيني؟

كم قاس هو قلبك, بل كم قاس هوهذا الحب,

لماذا إذا تقربتي إلي؟

رسمتي شباكك حولي وبكل برود اصطدتني, لم تهتمي قط بما لمحت إليه أنت ال تهتمين فقط ال لنفسك.

لقد خدعتني يا فاتن, قلت إن بيننا جدار صغير و على أن أتسلقه للوصول إليك, لكني وجدته قصرا, وجدته قلعة كاملة مدججة بالفرسان و تركتني أعزل وأمرتني بان اقتحمها, ما اقحرك.

اعترف أن الحب بال تمادي ال يضحي ال شغفا سيزول سريعا, لكني تماديت في الحب و كان هذا عقابي, بل تهورت و نلت جزاء تهوري .

اآلن فقط أدركت أن هذا العالم ال يستحق الطيبون أمثالنا, لكن ماذا بيدنا فعله, فقد أحببتك وانتهيت و لن يفيدني الندم اآلن.

لنخرج اآلن من دواخل هذا اإلنسان البائس الحزين.

حسنا,

لم تخفف عنه مواساة كوما, هو لم يكن يهتم بعبارات اآلسى و الشفقة تلك ال يحب أن يكون الطرف الخاسر, بل ال يحب أبدا أن يقول له أحد ال, عليه الصبر فاآلمر لم ينتهي بعد, فقد بدء اآلن, و عليه أن يحشد أسلحته فالحرب على اآلبواب, و كما هو معروف كل شيء مباح في الحب والحرب.

سيستخدم كل سالح يملكه و كل سالح لم يملكه بعد, فهي حرب و حب في وقت واحد, حربه ضد نفسه, ضد الفقر, ضد العنصرية, ضد القبلية, ضد الكون بأجمعه.

في يوم جمعة ما, كان قد رمى بنحيبه خلف ظهره , استعد جيدا و قرر القتال.

بدء يجمع المعلومات عنها, من أخته رقية, من أفواه المارة في الطريق, من الهواء الذي يمر من اتجاه منزلها, كل ما هو يتعلق باسم فاتن.

حتى االلوان التي تفضلها عندما تشتري المالبس, نوع الصابون الذي تحبه, التصفيفة التي تحتل قلبها في الكوافير, و قد استطاع أن يجمع معلومات ال بأس بها, سيستخدم منهن شيئا فشيئا.

لكنه بحاجة أن يحدثها على الواتساب, بحاجة ألن يستمد منها القوة, هي لم تعد تحادثه على الواتساب, حتى عندما كانت تلتقيه في منزلهم كانت تعامله كأن شيئا لم يحدث, حتى إنها نسيت
وعدها بمعاودة االتصال به.

نسيت تماما أنه اعترف لها بحبه, تبتسم كأن شيء لم يحدث, كأن شيء لم يكسر, كأن روحا لم تسلب, بإستثناء شيئا واحدا, فهي اآلن لم تعد تستطيع النظر في عينيه بينما تصافحه, و لم تعد
تصافحه عندما تلتقيه لوحده تكتفي بالصمت, و تمشي وعيناها على االرض.

لم يفهم بعد أنها تبتعد منه شيئا فشيئا, قرر أن يجد طريقة ليحادثها من جديد علها تالحظ تعلقه بها و يرق قلبها له.

إستطاع أن يستأنف التواصل معها, فقد اعترف لها بأنه راضي تماما باألمر, وان القسمة لم تجمعهم ,وأنه قد غفل عن حقيقة كونها تمتلك قلبا ربما يحب احد أخر, وقد اكدت له انها لم تريد
ان تجرحه, واي جرح يؤلم اكثر من التجاهل, كان يقول ذلك وفي قراره نفسه ينكر قوله. لم يستسلم بعد ولن يستسلم, هي عنيدة جدا وهو أعند منها, ربما الطريقة التي صارحها بها لم تعجبها, وربما هو من أخطأ بمنحها الفرصة الكفية للتهرب, لكن تلك معركة وقد خسرها ولكن
الحرب لم تنتهي بعد ولديه اآلن الفرصة مواتية لالنتصار في هذه الجولة. ظهرت نتائج القبول لدى الجامعات السودانية وقد وفقه هللا تعالى بقبوله في كلية اإلعالم بجامعة الخرطوم, ويوسف تم قبوله في كلية القانون بجامعة النيلين وسوف يصل من كندا في أي يوم
خالل االيام الثالثة القادمات.

في الفترة التي تلت وجد نفسه كثيرا ما يحتسي القهوة لدى حنان, ففي كل يوم بعد أن يغلق

دكان ألعاب الفيديو خاصته يجلس برفقة كوما الذي كان يواسيه أصبح الآن يسخر منه ومن فشله في الحصول على حبها, بل و راهنه أن كسب قلبها سوف يترك شرب الحشيش,

هو لم يكن بحاجة لرهان أو حافز ما, فالحب هو أكبر رهان وأعظم حافز.

و بالنسبة له يتعلق الألم بحياته و في أحيانا كثير أصبح يجد نفسه بجوار حنان دون أن ينتظر وصول كوما, و قد الحظت شروده الكثير و توهانه المتكرر حتى سألته ذات يوم عن سبب وضعه هذا, و وجد نفسه ال إراديا يجيبها, بل ويخبرها عن كامل القصة.

من تلك اللحظة أصبح يلجأ لها, يستشيرها, و يطلب مساعدتها في كثير من الأمور فهي قد خبرت الحياة جيدا.

واكتشف أنها تملك قلبا طيبا, ومشاعر حساسة, رغم أن زوجها قد طلقها قبل خمسة عشر عاما, إل أنها ظلت تتعلق بالحياة و لم تلتفت يوما لتبكي عليه. وجد فيها المرأة القوية والمثابرة الكادحة, فهي تعيل ثالثة فتيات أكبرهن في السابعة عشر, و أصغرهن في الخامسة أما التي تتوسطهن فقد خمن أنها في الخامسة عشرة أو العاشرة ال يهم. تعمل أمهم من مغيب الشمس حتى الواحدة ليال, و في شهر رمضان تعمل أحيانا حتى موعد السحور تعيش في هدوء وسكينة تامة, و قد فسرت له تجاهلها لخسارتها زواجها السعيد,بحجم المسؤولية التي تهرب منها زوجها, فلن يفيدها البكاءعلى اللبن المسكوب.

حنان تقدس العالقة الزوجية و تقدس الحب لكنها لم تستطيع الحفاظ على بيتها, و لم تحاول حتى أن تقنع طليقها بأنها ليس لها دخل في إنجاب ثالث فتيات, أن تحديد جنس المولود ليس من قدراتها, هي لم تفهم أن عقدة القتاة في مجتمعها الزكوري شيئا بالغ الألهمية, فتجد من يتفاخر بأبنائه الزكور الأربعة و تجد من يأسى على نفسه بسبب بنتيه الاثنتين, لذا كان عليها أن تطلب الطالق بعد كثيرا من اللوم الذي تجده من زوجها السكير, و الذي كان قد أقسم بأن, لن يدخل المسجد إن لم يرزقه هللا بولد زكر, فزوجته الأولى أنجبت له بنتين, و بعد أن توفت حمد هللا كثيرا على هذه النعمة, و لو أنه كان يحب أن يكون ولده البكر ذكرا إل انه امر هللا تعالى أن تكون أنثى, اما االن سيتزوج و يكون له خمسة اوالد زكور.

لكن خيبت حنان امله و انجبت له ثالثة فتيات, و جزر الجميع بدال من ان تسلم عليه من بعيد رافعا كفك, قرر ان ال تسلم عليه حتى ال ترفع يدك بأصابعك الخمسة لتزكره بمصيبته, كان مرتضى يسمع منها قصصها هذه و يشعر باالسف لهذا المجتمع الفظ, هم يفضلون الزكور في كل شيء كأن إلناث عار عليهم أو اثم على صدورهم, كأنهن ليس ببشر يهينوهن في الطرقات,

يتحرشون بهن, يضاجعوهن, ثم يعودون لنسائهم ليال طائعين يقدسونهم اجل تقديس, يا للجهل و النفاق.

مع اقتراب موعد بدء الدراسة في الجامعات كان مرتضى ما يزال عالقا في مشاكله, فقد علم أن فاتن تم قبولها في جامعة النيلين, ندب حظه كثيرا على اختياره جامعة الخرطوم بدال من النيلين.

وقد قرر أنه سيشتري أول كاميرا له بعد أسبوعين بعد خطبة رقية و يوسف و بعدها سيبدأ في التنقيب عن مشاكل مجتمعه.

و كان أيضا بحاجة لمن ينقب عن مشاكله ,فاإلنسان دوما بحاجة لمن يرعى مشاعره وأحاسيسه البعيدة تلك التي ال يصلها أحد, و هو يتعجب كيف أن حنان ظلت طوال االعوام السابقة في تجاهل مشاعرها و ميولها االنثوية, هي ال تفكر مطلقا في عالقة زواج أخرى, أو حتى في عالقة عاطفية و بالطبع امرأة في عمرها لن يرغب فيها الشباب أو حتى الرجل في سنها, فالرجل بطبعه يميل للمرأة مكتملة االنوثة اليافعة و يرغب في أن تكبر على يديه و تشيخ تحت كنفه, هي حتى لم تفكر في الجنس تعيش هكذا فقط, كأنها حجر ربما فقدت ثقتها في الحب والعالقات عامة بعد تجربتها االنانية الفاشلة, و هو بالطبع لن يسمح بأن تتكرر تجربتها هذه معه.

فحنان إختارت أن تتنحى جانبا و أن تستسلم, لكنه قال لنفسه ذات مساء و هو يقرأ رسائل فاتن القديمة, ال تستسلم يا هذا أن الحب بال توجع لن يكون حبا ابدا, و قد حاول مرارا و تكرارا ان يقنع نفسه بانه ال يحبها, ذلك كان مجرد اعجاب فقط, و اإلعجاب هو كاألوكسجين السائل

ستشعر به أمام عينيك شيئا تلمسه و تتحسسه لكن ما ان تطلقه في الهواء حتى يتبخر, لكنه فشل في ذلك, فشل حتى في إختباره, وتأكد له بأنه حب كبير ال محالة بل اصبح عشق و ان لم يكن مخطئا فهو هوس سينتقل الى جنون قريبا.

سيناقش حنان في قصته, بالطبع هي ستتفهم االمر كونها امرأة و تستطيع أن تقدم له الحلول المناسبة, و بعد أن عرض عليها قصته منذ بدايتها حتى آخر مكالمة, قالت له بال تردد,

- هي تحبك لكنها بحاجة لتشعر أنك مميز وأنك تحبها حقا, عليك أن تثبت لها ذلك.

راقت له كلماتها و قرر أن يفعل كما أخبرته بائعة الشاي الطيبة, لكنه ال يعرف كيف يفعل ذلك, وقد خطرت له هذه الفكرة.

بدء مراسلتها من جديد, أخبرها بأنه في الحقيقة لم يكن من اتصل بها و اعترف لها
بحبه, انما كان صديق ما, و يريد الآلن توضيح االلتباس بتقديم حبيبته فاتن محمد التي زعمها, سرعان ما انطلت الحيلة عليها و عادت تراسله مرة أخرى.

كانت تتحدث إليه على هاتفه و تتحدث الى حبيبته فاتن, التى لم تكن سوى حنان التى قبلت أن تساعده و تدعي ذلك, كان االمر بسيط جدا, منحها هاتف جديد و بطاقة إتصال جديدة إشتراها خصيصا لهذا االمر, في البدء مضت االمور على ما يرام, بل كانت جيدة جدا و أصبحت تراسله بصورة طبيعية جدا, و إنطلت عليها الحيلة بأنه حقا كان يقصد فاتن أخرى, حتى أخطأ
مرة و أخبرها أن حبيبته فاتن جدتها قد توفت.
بحسن نية قررت أن تتصل بها وتعزيها في فقدها, اتصلت المرة االولى,

- الو.
الو مرحبا, أغلقت الخط ثم اتصلت ثانية.
- الو.
الو مرحبا,

هذه المرة قد اكتشفت كذبته, يمكنه أن يكذب في الرسائل, لكن ال يمكنه أن يكذب في المكالمات, لقد اتصلت لتعزي فاتن, و بكل غباء استقبلها بصوته الخشن, و قد إكتشفت كذبته الكبيرة لذ أغلقت الخط مرة ثالثة, و بعثت له برسالة من كلمتين

)يا خبيث).

ظلت هذه الكلمة تردد صداها في انحه طيلة شهر و االن انقطع أي أمل للتواصل معها حتى, ناهيك عن إقناعها بأنه كان يسعى إلثبات حبه .

ما الذي فعلته, هي اكتشفت االمر, سحقا قذف بالهاتف على الحائط و أجهش بالبكاء, و بصوت تتخلله عبرة,

- أنا أحبك يا فاتن, ماذا على أن افعل حتى تصدقيني, أحبك, أحبك جدا.

أنت رجل وأنا امرأة

لم تجد سحب الدخان الكثيفة طريقها خارج الغرفة رغم النافذة الكبيرة التي تركت مفتوحة لكن عطر البخور كان أقوى من رائحة السجائر, فقد أخذه كوما خصيصا لهذه المناسبة الميمونة من حنان, التي أعطتهم أقوى بخور لديها, بخور أم التيمان و قد أعاد كوما ترتيب أثاث غرفته و زينها بضوء الشمع و فرش االرضية بالرمل و رش عليها الماء, حتى أن الطربيزة القديمة المخصصة فقط للف السجائر قام بغسلها جيدا و هي التي ال يتم غسلها إال مع اقتراب عيد الكريسماس, غسلها كوما جيدا استعداد ليوم تعميد مرتضى, ليس في الدين المسيحي فهو مسلم ولم يترك دينه انما قد اعتنق شريعة السجائر و بدء بأكبر شيء, بدء بالبنقو و الحشيش, كوما ظل حتى فراغ مرتضى من السجارة الثانية حتى صدقه, فلطالما قد نهاه عن شرب السجائر ناهيك عن الحشيش والبنقو وقد قال له في احد المرات ان في دينهم االسالمي, كل ما يذهب

العقل هو حرام و كل مسكر هو خمر و من يشرب الخمر حتى و ان دخل الجنة لن يشرب من خمر الجنة.

لم يشك ابدا كوما في سبب هذا التحول المفاجئ في شخصية صديقه الوحيد فهو ملتزم البعد الحدود و منذ شهر فقط لم يكن يشرب السجائر و لم يكن حتى يطيق الجلوس في المثلث, لكن االن اصبح يساعد حنان في جمع معدات عملها, و بات يتلفظ بالشتائم في اتفه االسباب, وها هو امامه يقاسمه في تدخين الحشيش و البنقو, كل هذه االشياء كوما يرى بأن صديقه يستطيع

تخطيها.

لكنه قد قدم استقالته من كلية االعالم و قرر أن يقدم في الكلية الحربية, و لو باستطاعته لفعل كل شيء لمساعدته في ما يريد, و بوده أن يساعده في الحصول على حب حياته, لكنه كان دوما

يرفض مساعدة أخرى, و قرر أنه لن يعود إليها إال بعد أن يستحقها, و يكون له شأن مثله مثل ذلك الذي ترافقه في الجامعة, سيكون غنيا مثله حتى يعود إليها, و قد أخبرته يوما ما أنها تحب رجال الجيش, و إن كان لها حلم خالف عالج والدتها سيكون أن تتزوج من ضابط في الجيش السوداني, لذا قرر أن يكون ضابط في الجيش.

كوما يعلم تمام العلم أنه لن يتم قبول صديقه في الكلية الحربية فهو كما معروف للجميع ال ينتمي للقبائل العربية وليس له من يتوسط له و يدعمه, لذا سيرفضون قبوله كما حدث مع جار له, ظل يقدم للكلية الحربية لثالثة أعوام و يرفضون قبوله في كل مرة حتى انتحر العام الماضي.

بالطبع ال يخاف على مرتضى من أن يؤذي نفسه, هو أقوى من ذلك وليس من النوع الذي يحب االستسالم, كما هو اآلن يخوض حربا ضد نظام حكم بأكمله, ضد سياسات الدولة التي وقفت دونه ودون حب حياته, أما الشيء الذي ال يعرفه كوما و يخفيه عنه مرتضى, هو أن فاتن تحب فتى أصفر مثلها و عربي مثلها و ليس غرابي مثله.

نهض مرتضى و قرر الذهاب بعد أن انتهى من السيجارة السابعة, يريد أن يذهب اآلن إلى حيث تقوده قدماه و لن يستمع لما سيأمره به عقله و قلبه.

خرج و ال يعي إن كان جالسا في الداخل أم هو نائم, ال يرى شيئا أمامه و ال يشعر بقدميه تحمالنه, كأن سيارة تقله و ال يعلم وجهتها.

أطفأت الضوء, كانت الساعة لم تتعدى الثانية و رغم ذلك هدأت الكالب و قررت أن تستريح لبضع لحظات عن نباحها, و ليس من عادتها أن تصمت في هذا الوقت من الليل بل هذا الوقت تكون في أكثر لحظات نباحها ضراوة.

ت بجانبه و هي تتحسس يداه و تمسح على صدره ثم تقبله على خديه ثم بحركة هادئة ألقته على ظهره و ارتمت إلى جانبه, و ظلت تهمس له بنفس الكلمات التي قالتها له في المرة األلولى و الثانية و الرابعة, فلتنسى فاتن, و تبحث عن أخرى, إن لم تجد سأحبك أنا, ال أريد منك شيئا سوى أن تمنحني الحب و سأعطيك ما تتمنى, لم يكن يسمع شيئا مما تقول كان حاضرا و غائبا في الوقت نفسه, صامت و أشبه بالفراش التي تنام هي عليه.

لم تعد تعرف االن كم هو عدد المرات التي نامت بحضنه و كم هي اللحظات التي استيقظت فجرا و لم تجده بجانبها, لكنها تتذكرا جيدا المرة االولى التي فعلتها معه, كان قد اوصلها حتى منزلها بعد يوم عمل شاق في المثلث, و غادر متثاقل الخطى يراقبها بنظرات متوحشة متفحصة لجسدها الضخم حينها قد عرفت انه يريد شيئا اخر, يريد شيئا ال يستطيع طلبه, لكنها كانت كريمة معه, لحقت به و قبلته رغم ان الساعة حينها تعدت الثانية و النصف اال انه لم يخفي تخوفه من رؤية احدهم قبلتهم تلك, ظلت شفتاهم تتعارك لدقيقة و نصف ربما دقيقة و خمسون ثانية, ثم هجم عليها كالمفترس على طريدته ثم فجأة توقف و ابعدها عنه, قال لها انه يعتزر, لم يقصد فعل ذلك معها, و انه لم يفكر فيها مطلقا بتلك الطريقة, اقتربت منه ثانية و قبلته مرة اخرى و قالت له بالحرف الواحد,

- ال بأس بذلك اتفهم انك رجل, انا كذلك رغبت في االلمر.

سال لعابه وظل فمه مفتوحا لبرهة ثم عقب عليها,

- أتعني أنك عاهرة؟

قهقهت بصوت عالي جدا ثم قالت وهي تتحسس شيئه,

- هذا االسم يبدوا سوقيا, هنالك أسماء أخرى أكثر تمدنا.

تقدما نحو منزلها و قال بينما تسير خلفه, قد يرانا أحد ما, تعالي و امسك بيدها باحكام كأنه يخاف أن يأخذها منه أحدهم, و بعدها غاصا في جسديهم

أصبح االلمر بينهم شيئا طبيعي, لكن مرتضى رغم تكرار هذه العملية ألكثر من خمسة مرات ما زال يحاول أن يربط بين حنان بائعة الشاي هذه و حنان العاهرة التى عرفها مؤخرا, للحظة ما ظن أنها مثلها ومثل النساء الشريفات االتي يعملن بكد ليربين أطفالهن دون أن يبعن شرفهن أو يدنسنه بالتسول و الشحذة. هذه الليلة لم يفعال شيئا قد الحظت شروده التام عنها, هي تقدر شعوره بالحزن و االنكسار لم يستطيع تخطي فاتن, و كل ليلة يقضيها معها يحدثها عنها و عن مدى جمالها ورقتها, يخبرها بشعوره بعيدا عنها و أخبرها عن الفتى الذي ترافقه في الجامعة.

انه ثري جدا و ايضا من أسرة معروفة و والده مشهور ينتمي للكيزان)الحزب الحاكم(.

كان يقارن لها بين وضعه المادي و وضع ذلك الصعلوك الذي يتسلى بها أو هي التي تتسلى بأمواله, و عن استقالته من كلية اإلعالم حتى ينضم للكلية الحربية, و خطته الستعادتها, عن أمله في تحقيق أحالمها و طموحاتها, كانت حنان تسمع له جيدا و تتعاطف معه ببعض تمتمات لم يسمعها حتى, أخبرها أنه يستطيع أن يكون مشهورا مثل والد

ذلك الفتى و أن يكون ثريا لكنه ال يستطيع أن يكون وسيما مثله, ربما يطيل لحيته ألن النساء تحب الرجل الملتحي, لكنه ال يستطيع أن يكون ابن عرب, فأمه و أبيه من قبيلة البرقو و جده من تشاد واصل اهله جميعا من زالنجي لذا ال يستطيع ان يغير نسبه, كان يخبرها بذلك يأسا من كل
شيء, هي ال تستطيع ان تفضله على)ابن الحرام(الذي ترافقه و الذي تظل معه حتى المساء, ظل يخبرها بكل صغيرة و كبيرة عن حياته, و عن حلمه الذي سرقته.

و ادرك ان الحب يغير االحالم و يصنع احالما جديدة, فبألمس كان يحلم بأن يصبح مصور فوتغرافي واالن اقصى أمانيه نجمة على كتفه و تحية عسكرية كل صباح.

و اخبرها انه ادرك, ان الحب يغير اهتماماتنا و اولوياتنا بل و يؤثر بالسلب كان او باإليجاب على محيطنا ككل, و ما زال يتحدث حتى اذن الفجر, وانتبه لها فاذا هي نائمة, نهض من الفراش وعدل هيئتها على السرير وخرج.

قبوله في الكلية الحربية, لكنه لم يخبر رقية بذلك بل أخبرها بأنه تم قبوله و سوف يذهب للمعسكر في مدينة الدمازين يقضي عام و نصف ثم يعود للخرطوم ليكمل بقية
الدراسة االكاديمية, لم يخبر أحد بما ينوي فعله إال كوما, و قد أخبره أنه ذاهب إلى هناك ليلتقي بشيخ الصادق و هو معروف بالسحر والشعوذة وكل أنواع التعامل مع الجن والشياطين.

لم يتبقى له اال هذا الحل, لم يكن يريد أن يستخدمه, فهو يريد أن تحبه فاتن من قلبها, يريدها أن تحبه هكذا كما هو, بفقره و قباحته هذه, يريد أن يتملك قلبها, ظن أن الحب الحقيقي ال يهتم بالوضع المادي أو باللون, لكنه اكتشف أن المال هو كل شيء, و كثيرا ما نجحت عالقات
في منطقة السلمة عن طريق شيخ الصادق أو (شيخ الدمازين كما يلقب(فهو لديه من الجن الخادم له ما يستطيع أن يجعل أي فتاة ترغب بها أن تحبك و تتعلق بك, لذا قرر ان يذهب اليه فحياته اال في المحك, لم يلتحق بكلية العالم و ال بالكلية الحربية, و ال يريد ان يخسر فاتن ايضا, لن يحتاج من االن للون جديد, ستحبه هكذا بلونه االسود, و بقبيلته هذه التي تنتمي لغرب
السودان و سيفند القاعدة الثابته التى يعيش عليها الناس, انه لن تحب أي فتاة تنتمي لقبيلة عربية او لقبيلة جاءت من شمال السودان لشاب ينتمي لقبيلة من الغرب, عليه ان يلتقي بشيخ الدمازين هذا و ان يكرمه بما يطلب من مال وعليه ان يعود بعد اسبوع فقط ليجد فاتن بانتظاره في الميناء البري الخرطوم لتعانقه وعيناها تفيضان شوقا وحبا, ثم بعد ذلك سيدعي انه فشل في االختبار

البدني في المعسكر و تم رفض انضمامه للكلية الحربية, و سينتظر حتى العام القادم ليعيد التقديم او يقدم للدراسة في جامعة خاصة و هكذا ستعود االمور لنصابها وطبيعتها, ولن يكون قد كذب

على شقيقته رقية النه من االساس تم رفض قبوله. قام كوما

بتوصيله حتى الميناء البري بالركشة ثم منحه عنوان و هاتف ابن عمه هناك لينزل

عنده فور وصوله.

استغرقت الرحلة من الخرطوم للدمازين أربعة عشر ساعة, و قد سلى نفسه تارة باالستماع لنادر خضر و زيدان إبراهيم في هاتفه, و تارة أخرى كان شاردا مع خطب الشيخ محمد سيد حاج في شاشة البص, و بقية الساعات قضاها نائما حتى أنه لم ينزل كبقية الركاب ليتناول شيئا و

اكتفى بسجارتين واحدة في سوق مدينة ود مدني, و الثانية حينما توقف البص في مدينة سنار.

وصل البص في حوالي الثامنة مساء حيث تحرك في الرابعة فجرا, وفور نزوله اتصل بالشيخ الذي أرسل له أحد فتيانه ولم يكلف نفسه عناء االتصال بقريب كوما, حتى حينما اتصل به كوما

لم يرد عليه, اكتفى برسالة نصية يخبره بأنه وصل بسالم وذهب مباشرة للشيخ.

إنهم حثالة

لم تسع الفرحة شيخ التهامي حين أخبره الفاتح أن السمؤال قد قدم لها حبيبته وهي زميلته في الجامعة و يرغب بعد انتهاء العام الدراسي أألول حيالته آلن قد أن يتقدم لخطبتها.

تغيرت ثالثة مائة درجة, فقبل

يومين أخبره الحزب أنه ستبدأ حملته االنتخابية لمنصب الوالي, وعليه بان يحسن التعامل مع ابنه الصغير حتى ال يعيق تلميع صورته أمام المجتمع خصوصا أن وسائل

التواصل آلن أصبحت أقوى من الصحف والتلفزيون و ال يستطيعون التالعب بها بل ال

طيعون التحكم بما يرد فيها من اخبار و أي خطا صغير منه سوف تكون عاقبته واحدة و هي إزالته من النحة

المرشحين, لم يسعده أن ابنه سوف يتزوج أو يستقيم و

سوف يترك خرجات المراهقين و أمور الصبيان, ما أسعده ألنه اختار فتاة من الهامش, وهذا االمر بحد ذاته سيفيده في حملته االنتخابية, رجل االعمال الطيب, و القائد النزيه, ابنه ضابط شرطة قام بمعاقبة ضابط صف لشتمه مواطن, و ابنه االخر يتزوج من جنوب الحزام

من أسرة فقيرة جدا, من االن بدء في تخيل عناوين الصحف, و لم ينتهي بعد من احتفاله بالنصر القريب حتى باغته الفاتح بخبر اكبر, و كأن القدر يسخر له نقطة ضعفه الوحيدة لتكون نقطة قوته االكبر, حيث اكد له ان السمؤال لديه صديق جديد ينتمي لنفس المنطقة التى تنتمي لها الفتاة التى ترافقه, كان يعيش في كندا و يدرس في جامعة الخرطوم, ينتمي للجبهة الشعبية المتحدة

التنظيم المعادي للحزب الحاكم, و كان ينتظر الفاتح ان تكون ردة فعل والده غاضبة قليال او معاتبة للسمؤال, لكنه بدال من ذلك قرر مكافأته و السماح له بأن يقود سيارته بنفسه من جديد, و قد اكد شيخ كرار للفاتح ان هذا االمر في مصلحتهم, فان استطاع ان يكون صداقات اكثر مع

هؤالء المنتمون للكيانات المعادية للحركة االسالمية و الحزب الحاكم هذا سوف يؤكد على شخصيته كرجل ذو مبدأ و هو الحرية و الديمقراطية و ان ابنه االول ضابط معروف بنزاته ووقوفه مع المستضعفين وابنه الثاني قد خطب فتاة فقيرة تنتمي لمنطقة نائية وقد صادق احد

المنتمين للمعارضة.

تخيل حجم المكانة التى سيحظى بها لدى مواطني الخرطوم, سوف يقومون بترشيحه بل شك, و سيفقون في الحزب الحاكم اكثر فأكثر, و ما ان عاد السمؤال من الجامعة حتى فاجأه والده

بهدية لزوجته المستقبلية, عقد من االلماس الفاخر تتدلى منه جوهرة زرقاء المعة سال والده,

- لمن هذه؟. .

لزوجتك المستقبلية, قال ذلك و هو يجلس على حافة كرسي فخم.

- شكرا لك يا أبي, لم تشتريها من هنا أليس كذلك؟

ال,اشتريتها من االنترنت, هذا العقد مصنوع من االلماس و هذه الجوهرة اسمها الزوريت إنها

غالية و نادرة جدا و ال يلبسها إال الملوك. ما هي

إال يومان فقط حتى انتشرت الشائعات الحميدة كإنتشار النار في الهشيم و راجت الدعوات الطيبة بحق الرجل و أسرته, بل و ظهرت مجموعات في الفيسبوك والواتساب تتحدث عن

دعمها لمشروع ترشيح مثل هؤالء الطيبون والمنتمون للمجتمع.

كان اللقاء خاطفا حيث تعرف يوسف على أسرة صديقه الجديد, وعلي كرمهم الكبير, واكد له الشيخ كرار التهامي أن منزله مفتوح على مشراعيه له و لهم جميعا متى احتاجوا شيئا, وأنه يريد أن يساعد في نهضة الشباب السوداني عامة, و أيضا قام بتبشيره بان سيقوم بإنشاء مستشفى خيري في منطقة السلمة و لعلمه التام بظروفهم و ان الحكومة الحالية ال تهتم بهم, لكنه االن بصفته سوداني ال أحد يمنعه من خدمة مجتمعه و أنه يريد أن يعوض تقصيره و صمته, عن االوضاع التي عليها المناطق النائية بوالية الخرطوم, بل وزاد على ذلك

عزمه تقديم وظائف لشباب منطقة جنوب الحزام عامة, لم يخفى عليه ذلك الود والكرم الكبير لدى الرجل فهو يعلم تمام العلم بأنه مقبل على انتخابات لكنه أيضا وضع احتمالية أخرى لهذا فبلطبع ليس كل من ينتمي للحزب الحاكم أو الحركة الإسلامية بالسيء لذا رجح استقامة الرجل
وحسن نواياه ثم ان االيام ستكشف عن وعوده بشأن المستشفى والوظائف.
كانت المنطقة بحاجة للخدمات بغض النظر عن هوية مقدمها, فهي بالكاد تصلح للحياة المدنية.

رغم أنها ال تبعد كثيرا عن االحياء الراقية التي تحيط إال أنها تبدوا و كأنها تنتمي
للمناطق التي ضربتها الحروب والفيضانات حيث ال بنى تحتية و ال طرق مرصوفة و ال
اهتمام بقنوات الصرف الصحي, لذا كان يوسف شديد االمتنان لتلك الوعود التي قطعها
رجل االعمال ذو القلب الطيب و لو أنه فطن لما يخفيه من أساليب الترويج لنفسه أو محاولة
استمالته لصفه ربما ألنه ينتمي لحركة طالب تشكل غصة في حلق الحكومة ويسعون للتخلص
منها بأي شكل.

لم يكن السمؤال أكثر تعاطفا مع أحد بهذه الصورة من قبل, فعرف عنه دائما استهتاره بمشاعر االخرين ناهيك عن مشاكلهم, لكنه هذه المرة كان مختلفا جدا, أخبر والده عن نيته
مساعدة الفتاة التي يحبها أو بصورة مبسطة مساعدة أسرتهم كلها, حيث ينتظرون وفاة أمهم بأي وقت بمرض سرطان الدم, ينتظرون مكتوفي االيدي و ال حيلة لهم, كان يتوسله أن يتكفل بعالجها و لم يهدأ له بال إال بعد أن وعده والده بأنه سيحاول تدبير تكاليف العالج
وأنه سيبذل أقصى جهد في سبيل ذلك. حينها دقت
ناقوس الخطر في رأس شيخ التهامي, و يبدو أن ابنه تعلق جديا بهذه الفتاة و
مشاكلها بل بمجتمعها أكمله واستطاعت في هذه الفترة القصيرة التلعب به حتى جعلته يطلب
منه أن يعالج والدتها, و هذا االمر من شأنه أن يغير كل خططه التي و ضعها و إن كان حقا قد
حدث ما ال يتمناه و أنه أحبها فعال ال سمح هللا, فعليه من االن أن يتدارك الوضع و يتخلص منها
بل منهم االثنين.

فبالتأكيد ذلك الشاب الذي يدعي صداقة ابنه أيضا من الطامعين و ال يستبعد أنه سوف يقع ضحية نصب كبيرة من هؤلاء الشحاذين, استدعى ابنه الفاتح و أمره بجمع كل صغيرة و كبيرة عن هؤلاء االثنين حتى يمكنه استعادة ابنه السمؤال قريبا من قبضتهم.

و قد ظن للوهلة االولى أن ابنه من كان يسيطر على الوضع وأنه كان يقضي وقتا برفقتهم و قريبا سيمل منهم لكنه استيقظ على خيبة فقدانه و إن لم يستعجل سيفقده إلى ألبد,
فأناس مثل هؤلاء ان وجدوا الفرصة لملء بطونهم من جيوب االغنياء لن يشبعوا ابدا, ولن يتركوا جنيها واحدا ال واستحوذوا عليه.

لم يستغرق الفاتح أكثر من يومين لجمع المعلومات, فكالبه البوليسية تعمل بكل إخالص لرضاء أسيادها بل هي تعمل في تنافسية في ما بينها لنيل شرف خدمة أسيادهم و لن تفرق معها أن كانت أسيادها ذوي رتب أم لباس مدني
فالمهم أنهم أسيادهم وعليهم أن يطيعوا االوامر شاءوا أم لم يشاءوا.

وضع الفاتح ملفين أمام والده الذي كان جالس بين فتاتين و ال يرتدي سوى سروال قصير ثم استأذنه ليغير زيه الرسمي, ألنه سوف يشعر باإلثم أن هو دنس هذا اللباس الذي يحمل شرف الدولة في بيوت المجون هذه, وترك والده يقلب نظره بين السطور.

يوسف يعقوب, سوداني الجنسية جاء من كندا قبل عام بعد أن اجتاز امتحانات الشاهدة الثانوية هناك, والده سوداني يقيم في كندا ينتمون لقبيلة الزغاوة, موطنهم االصلي غرب السودان, قبل ثمانية أعوام قامت أمه بتبني طفلين هما رقية و مرتضى بعد أن توفى والداهم بانفجار أنبوبة غاز
بالسوق العربي الخرطوم, يوسف يدرس في كلية القانون جامعة الخرطوم وهو خطيب رقية شقيقة مرتضى, يقطنون منطقة السلمة, والدته مقعدة تبلغ خمسة وخمسون عام.

ثم انتقل للملف الثاني,
فاتن عمر, تدرس كلية االقتصاد جامعة النيلين, تنتمي لقبيلة المحس ليس لها أي انتماء سياسي, ليس لها أشقاء, والدتها مصابة بالسرطان, والدها يعمل فني ميكانيكا بمنطقة الشاحنات
الصناعية, صديقتها الوحيدة رقية, هنالك تسعة شبان في الحي والجامعة يسعون للوصول إليها, من بينهم مرتضى شقيق رقية.

رمى باألوراق على الدرج وبإشارة منه أمر االثيوبية الواقفة على بعد متر ونصف

باالقتراب وهي تعلم ما عليها فعله حيث وضعت قليل من زيت الزيتون على شعره المجعد و بدأت في تدليكه, ثم انتقلت إلى لحيته الضخمة التي يتدلى منها االيمان والتقوى و كذلك الخبث والفساد والمجون.

اغلق عيناه ببطء ثم عانق أفكاره, كيف يبعد ابنه من هؤلاء الحثالة, ألم يجد السمؤال أي من االصدقاء المنتمون لمرتبته , فهذا جارهم الطبيب لديه ثالثة فتيات, و صديقه القاضي في المحكمة الدستورية لديه ولدان و أربعة بنات لَمْ يلم يصادق أحد منهم, كيف رمى نفسه في هذه الثلة من المتسولين والذين ال هم لهم سوى المال.

هو ال يعرف كيف يتصرف حتى ال يفسد كل شيء وصلف اليه قرر أن االن ليس الوقت المالئم للندم, فاالنتخابات تبقى لها أقل من عام و لن يسمح ببعض من المزيفين أن يفسدوا خطته, تبقت له بضع خطوات ليصل لهدفه, و لن ينكسر االن.

يريد أن يستعيد ما سرق منهم في شندي, يريد أن يعيد مجد أسرة التهامي, ما زال يذكر كيف قتل سكان شندي والدته غرقا في النيل, و ما زال ينكر كيف تمت إهانة والده أمام الجميع و هو كان القائد و رمز العزة و الكرامة بل و مصدر فخرهمك جميعا.

لم يكن والده, كان بمثابة والد لجميع سكان شندي, يحل لهم مشاكلهم, و يعين محتاجهم ويجير ضعيفهم, لكن ماذا فعلوا ردوا االحسان بالشر, نسوا كل جمائله عليهم و ما أن علموا أنه كان يتعامل بالسحر حتى قرروا االنقالب عليه, و فيما كان يستخدم السحر غير مصلحتهم جميعا, لم يضر أحد منهم, لم يسرق بل كان يمنح و يتصدق, و هذا ما وجده جراء إحسانه خذي كبير.

و ذادو اكثر من ذلك, قتلوا زوجته, حتى اتهامهم له باغتصاب القاصرات كان زورا و بهتان عظيم, ليس والده من كان يهتك عروض االخرين و يغتصب من هم في مقام بناته, كن يأتينه راضيات راغبات, كن يطلبن ذلك, و هو لم يكن ليرد أحد طلب منه معروفا, ثم إنه رجل و ال يستطيع الصمود أمام حيوية وأنوثة تلك الفتيات الالتي يسمونهن قاصرات, كن قاصرات فقط على الورق فأجسادهن و عقولهن تخبر أنهن في الخامسة و العشرون ربما في الثالثون, و رغم هذا هو ال يؤلمه ما حدث ألبيه ألنه أخطأ في حق نفسه و كان كريما و متسامحا معهم ألبعد حدود.

لكن ما هو ذنب والدته, هي لم تغتصب قاصرة, لم تتعامل مع الجنون و الشياطين ما الداعي لقتلها, لما تمت معاقبتها على جرم لم ترتكبه, كان كرار التهامي لم يبلغ السابعة عشرة بعد حينما حدث هذا ألسرته و هرب بعدها, اجتهد حتى وصل لهذه المرحلة, لهذه المكانة و

قد وضع أمام عينه هدف واحد و هو إعادة مجد ومكانة والده إلى مكانها الطبيعي, ربما هو االن في الجنة بانتظار الحور العين, أو ربما في النار يحتفل بفسوقه و فجوره في الدنيا, لكنه وضع نصب عينيه أن يعيد تكريمه في الدنيا وأن يعيد حق والدته التي ماتت ظلما.

المتهم هو مدينة شندي بأكملها, صغيرها و كبيرها, من شارك في عملية تشريد أسرته و من لم يشارك, من كان حاضرا ومن لم يكن, من ولد حينها و من ولد االآن, سيدفعون الثمن غاليا, و لن يسمح أبدا البنه المتهور بأن يعيق حدوث ذلك, أو ان يفشل خطته, هو ال يطمح للمنصب فلديه كل شيء الجاه والسلطان لديه المال الذي يجعله يعيش بقية عمره وهو نائما في سرير من ذهب وحوله الجواري والغجر, بل ما يكفي ليعيش أبنائه في هدوء و رخاء, لكنه يريد االنتقام يريد أن يعاقب من كان المتسبب في ذلك.

و قبل كل شيء سبق و قد ضمن استمرار إمبراطوريته هذه, فوريثه الشرعي يخطو بخطى ثابتة نحو تحصين نفسه وتقوية مركزه بالدولة أما االمير الصغير فيحتاج لبعض المساعدة حتى يتعرف على مصلحته, هو اختلط بالطبقة الدنيا, بالعمال واللصوص, بمن يعملون اثنا عشر ساعة يوميا ليحصلوا على خبز يكفيهم اليوم التالي, ومن يعملون اربعة وعشرون ساعة ليحصلون على العالج , فكيف له ان يتأقلم مع وضعه و مكانته المميزة, عليه ان يفصله من ذلك الواقع المزري و تلك الحياة البائسة, فهم ال يستحقون شرف التعرف عليه, و ان لم يتدارك الموقف ستفشل خطته نحو االنتقام, فأول المستهدفين من حربه هذه هو الضابط الذي القى القبض على والده حينها فلو قبل آنذاك بما منحه له والده من مال لما حدث ما حدث, لكنه كان وغد كبير يرتدي بزة شريف, و الطمع في االنسان خيط ضئيل يتسع ويكبر ليكون هالة ضخمة تحيط بالقلب, ان لم يتداركها قد تطغي على وجود النجوم التى حولها, لذا هو حينها رفض المقابل الذي يجعله يتغاضى عن االخطاء الصغيرة التى ارتكبها والد كرار التهامي, لكنه كان يطمح لرضاء اسياده و يطمع في مكانة اعظم, و قد نالها, تدرج ليصبح جنرال في الشرطة, و لحكمة القدر ان نفس الشخص الذي تسبب في دمار حياته و حياة والده و والدته هو نفس الشخص الذي منحه كل شيء بل و كان بابا نويل الذي زاره عشية عيد الميالد, ربما مع قليل من الحظ اصبح الجني الذي يخدم عالء الدين, فذلك الضابط نفسه هو صديقه الجنرال الطيب عباس مدير شرطة والية الخرطوم, والذي ما زال يقدم له كل الدعم و يقوي من شوكته حتى ينقض عليه الحقا, كان بحاجة لبعض المواقف والخدمات الصغيرة ليتقرب منه.

و قد استغل فجور الرجل و شهوته التى ال يستطيع السيطرة عليها, حتى يتقلد وسام صداقته, عليه اللن ان يصبح الوالي الجديد حتى يبدء حربه و يشن غاراته و يسحق خصومه, لكن عليه أوال أن يجعل من نقطة ضعفه الوحيدة نقطة قوته ألكبر.

زوجة الشيخ جنية

الساعة قد تخطت التاسعة بقليل حينما وصل مرتضى إلى منزل الشيخ, كان البيت واسع جدا يتكون من أربعة غرف متراصة مع بعضها البعض و امامهم غرفة مستطيلة يفتح بابها على باب المنزل مباشرة و هي الغرفة التي يتعامل فيها الشيخ مع ضيوفه, أن كانوا من البشر أو من الجن, وتلك الغرف ألاربعة خصصت لمن جاء من منطقة بعيدة ليقيم فيها حتى انتهاء المراسم و خلف هذه الغرف سور يفصل بينها و بين مسكن زوجة الشيخ و أبنائه, الذين لم يراهم أحد و ال يسمع عنهم أحد شيئا, يدخل إليهم الشيخ ثالثة مرات يوميا ليكرم ضيوفه بالمأكل و المشرب.

ال أحد من أهل المنطقة يزورهم و ال يقومون بزيارة أحد, ال يعرفون عدد أبنائه و ال أسمائهم, هو حتى ال يملك جيران.

منزله يقع في القسم الجنوبي الشرقي من مدينة الدمازين, في مساحة كبيرة تنمو فيها ألاشجار الطويلة ذات ألاوراق الصغيرة و ال شيء خلف منزله سوى الغابات التي تمتد حتى الحدود مع أثيوبيا, أما من ناحية الغرب فهنالك مساحة صغيرة تفصل بينه و بين الترعة الكبيرة المتفرعة من النيل ألازرق, ثم سكنات الجيش, و من ناحية الجنوب والشمال فقط أشجار السنط والهشاب.

وصل مرتضى إلى المنزل و كان الشيخ حينها قد ذهب للنوم وعادة هو ينام الساعة الواحدة ليال بعد أن يطمئن على راحة ضيوفه ويتأكد من تناولهم العشاء.

يظل ساهرا يقيم الليل ال يفارق مصاله حيث يقرأ القران الكريم واالزكار اما يوم كل خميس هو يغادر ألهل بيته مبكرا منذ التاسعة و ال يخرج منهم إال مطلع الفجر, حيث يصلي في مسجده الواقع أمام منزله مباشرة و ال يصلي معه أحد إال ياسر كغويال خادمه الذي يهتم بشؤونه و شؤون ضيوفه و يسهر لراحتهم, و في أحيانا قليلة بعض ضيوفه الذين يداومون على الصالة.

في العادة هو اشتهر بالكجور واستخدام عروق الشجر و التعامل مع الجـن والشياطين, لذا جل من كانوا يقصدوه فإيمانهم به نقص ما, ليجعلهـــــم يتعاملوا معه, و لم يكن مرتضى أحسن حاال منهم.

منحه ياسر كغويال بطانية صوف مهترة و وضع إبريق الماء قرب سريره الخشبي المصنوع محليا والذي يسمى)عنقريب(ثم انصرف بعد أن أخذ معه طبق الطعام الذي انتهى منه مرتضى مبكرا.

استلقى على العنقريب وعلي مقربة منه هنالك عنقريب آخر ألحد الضيوف الذي جاء سابقا إلى هنا وكان مستغرقا في نومه.

نظر إلى السماء الهادئة التي زينت بالنجوم كانت جميلة جدا, وظل يتحسس تبعثر النجوم فيها بتأمل رآهب و كأنه قد رآها ألول مرة, الليل يبدوا أكثر شاعرية هنا, حيث ال كهرباء و ال ضوضاء المدينة الخاشم الكل نيام في هذا الوقت, الساعة ربما لم تتخطى العاشرة والنصف لكن ال أحد يهيم في الطرقات كما المدينة, هو يفتقد هذه الطبيعة و هذا المناخ الرومانسي,

يتمنى أن كانت فاتن برفقته هنا, كان سوف يجلس معها في الترعة القريبة من هنا ويسرد لها القصص لتبادله القفشات وضحكاتها الجميلة, لكنه فاق فجأة من حلمه و تذكر أنها جاء إلى هنا لتعلن له عن حبها, لكن لم يتبقى الكثير فغدا سوف يلتقي الشيخ و بعد أن يتمم ما عليه فعله من مراسم سيكرمه ببعض مئات الجنيهات ليعود إلى الخرطوم, حيث ستكون فاتن في انتظاره بعباءتها السوداء التي جاءتها هدية من المملكة العربية السعودية.

سيجدها تنتظره و هي تحمل بيدها اليمنى باقة ورد حمراء مثل تلك التي في األلفالم, قرر أنه بعد أن يعود إلى الخرطوم سوف يتزوجها مباشرة و سيعيشان في منزلهم, أكيد يوسف لن يمانع فهو سوف يسافر برفقة فاتن إلى كندا وسيصطحب معه والدته, سيعمل في محل ألعاب الفيديو و سيعود للدراسة, هذا هو السيناريو المثالي الذي يريده أن تكون عليه حياته.

قدر أن الساعة تشير للثامنة, حيث أيقظته شمس الضحى وغسلت وجهه بأشعتها الدافئة,

أقسم عليه كفويال أنه لن يقوم بإدخال العنقري إلى الغرفة أو يحمل شيئا بنفسه هو االن ضيفهم, عليه فقط أن يرتب هيئته ليدخل إلى الشيخ, فاألن هو الوقت المناسب.

حيث ال أحد اال ضيف يقيم هنا له أسبوعين وسينتهي الشيخ من إتمام عمله اليوم, و ال يقابل شيخ أحدا من سكان المنطقة إال بعد صالة الظهر فهو قد خصص الوقت بين التاسعة حتى الواحدة لضيوفه القادمون من شتى بقاع السودان, يزوره العشرات شهريا, من البحر االحمر والجنينة و كذلك الفولة و االبيض و القضارف لكن اكثرهم من الخرطوم.

منهم من يريد ان يجعل ابن جاره يفشل في االمتحانا, و منهم من تريد ان تجعل ضرتها عقيمة مثلها, لكن السواد االعظم يريد ان يجعل احد ما يحبه, و هي الخدمة التى يسمونها)عرق المحبة(.

رتب هيئته و بعد أن تناول الشاي, دخل إلى الغرفة الواسعة, كانت خالية من أي نوع من أنواع االساس, حيث تم فرش الغرفة بأكملها بالسجاد المصنوع من الصوف, يجلس الشيخ في المنتصف على سجادة صغيرة من جلد الماعز و أمامه قصاصات أوراق مطوية بشكل عشوائي, على يمينه قنينة سوداء تحوي مداد يصنع محليا, و جوارها لوح من خشب و قلم من قصب, و على مقربة من االوراق نصف جمجمة ثور تحتفظ بأحد قرنيها و بعض االكياس المربوطة بإحكام, وعشرات من القصاصات الملونة وبعض عروق االشجار الصغيرة.

كان الشيخ جالسا الكرفساء ويكتب بقلم قصب آخر أصغر حجما من االول على ورقة صغيرة, له لحية سوداء تتدلى حتى صدره و تتخللها شعيرات بيضاء قليلة و يضع قبعة مخروطية بيضاء و حول عنقه أكثر من خمسة سبحة مصنوعات من نواة النبق واالللوب, كان منهمكا في الكتابة و يردد بعض الهمهمات و علي مسافة ليست ببعيدة يجلس رجال يكتسيه الصمت و المالمح الرضا, تجاعيد وجهه تخبر عنه ما يخفيه من رهق السنين و تعب الحياة عيناه المتعبتين الصغيرتان يسيل منهما اليأس والكآبة.

جلس مرتضى خلفه و لم ينطق بشيء, حتى فرغ الشيخ من الكتابة وجمع القصاصات االخرى التي أمامه و ناولها للرجل الذي أمسك بها بلهفة و عينان مبتسمتان ثم نهض وهتف,

شكرا يا شيخنا, هلا أكبر, هلا أكبر,

كان يراقبه مرتضى باستغراب, بم فاز حتى تهللت أسارير وجهه هكذا, هو قد جاء ليتعامل مع مشعوذ دجال كيف زكر اسم هللا في أمرا نهانا هللا من فعله وهو من الكبائر, قال هذا في سره, قاطع الشيخ تفكيره,

- أن كنت أنت تعلم أنه من الكبائر لماذا جئت إذا؟

رفع مرتضى بصره نحو الرجل, ابتلع ريقه و شعر بجميع شعر جسده ينتصب و جفنيه يرتجفان, لم يستطيع قول شيء, استطرد الرجل حديثه,

- ال تخف وأخبرني ما اسم الشاب الذي تحبه هي؟
وقف مرتضى و هو يبتعد بخطوات خلفية وقال للرجل,

كيف عرفت ذلك؟ ابتسم

الرجل وهو يطلب منه العودة والجلوس بحركة من يده بينما كان يرفع جمجمة الثور و ينظر من خالل القرن,

- ال تخف لن أفعل لك شيئا و اجلس هل تعتقد أنك نمت في منزلي و أنا لن أعرف عنك شيئا, االن أخبرني ما اسمه؟
اسمه السمؤال, أجابه و هو يقترب منه حتى استقر امامه و استوى جالسا على ركبتيه.
أنا أعرف ما جئت تطلبه, لكن لألسف ال أستطيع مساعدتك إال بعد أن تأتي لي بشيئا يخصه هو, شيئا فيه رائحته, عرقه, ربما منديل استخدمه.
قاطعه
- أنا ال أريد أن أؤذيه, أريد فقط أن تحبني فاتن, ال أريد أن يتضرر إنسان بسبب ذلك الحب.

ضحك الشيخ وهو يصوب عيناه الحادتين نحوه و قال بينما كانت يداه تتحسسان قرن الثور, لكل شيء ثمن و ثمن التعامل مع السحر هو الدم و الحياة, أنا أعلم ما ترغبه أنت لكن عليك أوال أن تدفع ثمنا لهذه الخدمة, ال شيء مجاني في هذه الحياة يا صديقي
حتى االوكسجين الذي نستنشقه ندفع مقابله ثاني أكسيد الكربون, وعليك أن تختار اما أن تؤذي شخصا تحبه أو شخصا تكرهه.

صمت لبرهة ثم استأنف حديثه,
- و هل سوف يكون الثمن الموت؟
أجابه الشيخ وهو يعدل من جلسته, نعم الثمن هو الموت.

صمت مرة أخرى استدعى أفكاره, شاور قلبه,

لما سيقتل شخصا؟ وما ذنبه أن كانت فاتن تحبه هو؟ ما الذي يفعله هنا بحق السماء؟ نهض من مكانه وشكره على ضيافته, و اردف,
- أنا أفضل أن أعيش بقية حياتي اكتوى بعذاب الحب خير لي من ان اكتوى بعذاب الضمير, أن الروح غالية جدا و ال أستطيع أن أضر بروح كل ذنبها أنها منحت الحب, سأغادر ول أريد شيئا, خرج بكل بساطة.

لم يبتعد من المنزل حتى لحق به الشيخ.

- أنت شخص طيب جدا, و دافعك للتعامل بالسحر هو دافع حسن, لم يسبق أن جاءني شخص يريد أن يحصل على شيء دون أذية أحد, جميعهم كانوا سعداء بأن وجدوا الفرصة لالنتقام, و نادرا في عالم كهذا تجد شخص يمكنه مساعدتك في هذا االمر, أنا كنت من قبل مثلك لم اختار أن أكن ساحر كنت فقط أريد أن اجعل أبي يحبني مثل إخواني, و قد قررت أن يكون الثمن هو أنا, نعم ال تتعجب رهنت حياتي وتزوجت من جنية.

بعد أن أتممت العمل قررت أن تتزوجني و لسوء حظي لم يعيش والدي كثيرا, توفى بعدها بشهر واحد و أؤكد لك الحب الذي وجدته في ذلك الشهر الواحد, لم أجده طيلة خمسة عشر عام قبلها, سأدلك على شخص يمكنه ان يساعدك, لكن ستمر بإمتحان ان نجحت فيه سوف يتم عملك, سوف يجعل الد اعدائك يحبك, هذا الشخص تجده في والية سنار في قرية اسمها تريرة الكوفة, اسمه محمد المصباح دنقس, اذهب اليه انا لم يسبق لي ان فعلت امرا كهذا وداللت شخصا عليه, و لم يسبق لي حتى ان تعاطفت مع احد من قبل ولحقت به, لكني فقط قمت برد جميل لم تلحظه انت.

ففي البارحة أنت قد تناولت الطعام الذي أعدته زوجتي للمرة االولى, فنحن تشاجرنا و قررت هي أن تطبخ و ان أكلت أنت الطعام سوف تنسى ما حدث و إن لم تأكله سوف أسافر معها إلى أهلها في جزيرة سواكن.

قاطعه مرتضى
- هل تقصد أنني أكلت من طبخ جنية؟
أجابه الشيخ و هو يعود أدراجه,

ال تفكر كثيرا في االمر لن يحدث لك شيء أنه مصنوع من طعام البشر, اذهب وال تعود إلى هنا أبدا.
قضى نصف ساعة يحاول استخراج الطعام الذي تناوله وعندما عجز عن ذلك توجه مباشرة نحو موقف الباصات سوف يحجز للسفر إلى قرية مجهولة اسمها غريب نوعا ما)تريرة الكوفة).

لى أين سيذهب به هذا الحب المجنون, ال يريد أن يؤذي ذلك المدعو السموأل فهو ما زال يحتفظ ببعض أخالقه, حتى و إن تعامل مع الدجالين والسحر, فهو
يريد أن يكون االمر بال أذية ألحد و بعد أن ينتهي و يتزوج من فاتن سوف يتوب و يستغفر هللا سبحانه وتعالى لذنوبه الكثيرة, لكن االن ال يستطيع الرجوع, أصبحت له هاجس يؤرق حياته و
ال يستطيع تخطيها. مدينة
سنار تبعد من مدينة الدمازين ثمانية ساعات و قبل أن يستقل البص سوف يقوم بزيارة سريعة ألقرباء كوما و سوف يتحرك في الرابعة عصرا هو يريد أن يتأخر في هذه الرحلة قد
فهو أحب السفر ليال, ربما للظلمة التي تحيط به و الهدوء الذي يتغلله, كذلك لسرعة الوصول حيث يقل االزدحام بصورة كبيرة فجل المسافرون بطريق)الدمازين - سنار – مدني – الخرطوم(, يخافون
السفر ليال حيث تكثر حوادث المرور بصورة بشعة و الحكومة ال تفكر إطالقا في أعمال التوسعة في هذا الطريق و بدون مبالغة
هو أكثر أداة حصدت أرواح الشعب السوداني بعد مجازر دارفور و جبال النوبة والنيل االزرق.

و تكثر فيه الحوادث مع وضح النهار ناهيك عن الظلمة الحالكة حيث ال إضاءة في الطريق الذي يربط بين أربعة واليات, مرتضى لم يعد يهتم بهذه االحتماالت, ربما سابقا
كان أكثر حذرا لكن االن لن يفرق معه الموت و في رأيه ال يمكن أن يموت اإلنسان مرتين, و يعتقد أنه لن يحدث له شيئا أسوأ من وضعه البائس هذا.

و بصورة أجمل اقتنع ان الموت ليس بالضرورة يكون سببه حادث في طريق ضيق, بعض الحرمان كافي لقتلك.

يقول لها إنه مختلف

بدا مبهورا بسعادة هؤلاء الناس, حياتهم تثير الشفقة لكنهم يعيشونها بسرور كبير, منزل مكون من ثالثة غرف, مطبخ وديوان للرجال, مسقوف بسيقان الأشجار و جريد النخل بالإضافة للقش, مروحة سقف كئيبة متهالكة, أضناها دوام العمل الطويل كانت تتمايل يمينا ويسارا كأنها ترقص على حالها, لها أزيز مزعج جدا, و لم يعفو عنها المالك ويريحها أو يبيعها لتاجر الخردة علها تجد الدفء و السكينة في ورشة حديد قريبة من هنا, أو يعاد تدويرها لتصبح كرسي ربما طاولة في إحدى دور المسنين, كان يراقبها في صمت وأحيانا أخرى يرمى نظره نحو السيدة المقعدة الجالسة على كرسي متحرك بجانبه. غرفة
بسيطة خمسة كراسي من حديد عليها بعض الإسفنج المغلف بالقماش
القديم, وسريران متقابلان تتوسطهم تربيزة خشب قديمة عليها نقوش غريبة كان يشغل نفسه بالنظر في خزانة الألواني الخشبية والتي تحمل مجموعة من الألواني الزجاجية القديمة خيل
له أنها أثرية نوعا ما . أنها زيارته الأولى لصديقه يوسف, بل زيارته الأولى لمنطقة السلمة إذا هذا هو وضعهم المادي, كيف يعيشون في منزل ال يحوي شيئا
من الألدوات الضرورية للحياة الطبيعية و المريحة, ال يحوي حتى ثالجة أو مكيف هواء.

ظل على تلك الحال يأسى عليهم في سره, وأحيانا يجيب على أسئلة السيدة الجالسة جواره, حتى
عاد يوسف يحمل ثالثة كوب و قنينة كبيرة من المياه الغازية. تناول مشروب
الكوكاكوال, هو لم يحبه أبدا, لكنه استساغه هذه المرة, بل

تناوله مرتين فحينما شرب الكوب بكامله المرة الأولى أعاد يوسف ملء الكوب مرة أخرى, لم يشعر يوما أنه أكثر سعادة من تلك المرة, لم يتعود أن يجالس غرباء يتحدثون في كل شيء.

السياسة و الفن, وضع السودان الراهن, حتى الثقافة و االدب, و جدهم متعلمين, ومثقفين مثلهم, مثل أصدقائه من الطبقة البرجوازية, يعرفون عن ابن مالك و اإلمام الغزالي, يحفظون جزء من كتابات أحمد مطر و أحالم مستغنامي, ,يقرءون ألحمد شوقي, و إحسان عبد القدوس, قد طالعوا رواية الحرافيش و ثالثية نجيب محفوظ, يستمعون لخطابات محمد سيد حاج و متولي الشعراوي, يؤيدون جيفارا, و يشعرون باألسف العتيال كلينتون إذا هم مثلهم في كل شيء اال الثروة والمال كان يرى فيهم السعادة المطلقة, السعادة الحقيقية التي ال تقتلها مخاوف مثل البورصة و ارتفاع الدوالر أو مطالبة المحكمة الجنائية بتسليم البشر, ال يهتمون حقا بهوية من المسؤول عن اغتيال بناظير بوتو, هم يعيشون الحاضر بالحاضر يتمتعون باللحظة كأنها آخر لحظة لهم في الحياة, سأل نفسه لما ال يعيش هو مثلهم, يتناول الشاي بالخبز مثلهم و يشرب الماء من)الزير(و ليس من المبرد, لما ال يضع)قربة(مصنوعة من جلد الماعز في غرفته, أو يرمي سريره في المساء تحت نسيم الليل المنعش ال مناخ المكيف المصطنع, يحسد هؤالء الناس في حياتهم, او ربما بصورة اقل وطأ يغار منهم, لذا قرر بعد ان يخرج من هنا, انه لن يتخلى عن صداقته مع يوسف ابدا ال يدري ربما يوما ما قد يسكن في هذه المنطقة, و هي فرصة له ألن يقترب من أجواء الحياة التى تعيشها حبيبته, فهو االن اصبح يحب هذا المحيط, يريد ان يعيش فيه, ينغمس في نسيجهم المحلي, الذي ال يشبه شيئا من حياتهم المغلقة داخل خزانات االموال, و السيارات الفارهة, و بعض التافهين الذين يقنعون انفسهم انهم اصدقاء, واغبياء يصدقون تفاهتهم.

بعد أن انتهت زيارته تلك أقسم عليه يوسف أن يزوره مرة أخرى, والذي بدوره وعده بذلك وقال له إن وعد الحر دين, وسيفعل ذلك في أقرب وقت متاح. خرج من هناك و أوقف عربته بمسافة تجعل من منزل فاتن على مرمى بصره بوضوح, ظل قرابة الساعة في أمل أن تخرج من منزلهم دون فائدة.
يراقب المارة بقربه,

االطفال الذين يلعبون بالطين, و ذلك الذي يجر عربة من حديد وتلك الطفلة التي تحمل دمية تهدهدها, وجد في وجوههم البهجة التي حلم بها عثر على طفولته المنهوبة, المسروقة منه, لم يلعب مثلهم أبدا, لم يمرق وجهه في التراب كما يفعل ذلك الذي يجرى خلف االخرين يخيفهم هو طيب و بريء لكنه يدعي الشر, و لم تتعرض ساقه للكدمات كمثل

الذي يقود دراجة هوائية هالكة, لم تكن حياته بهذا الجنون, لم تكن سعادته أبدا بهذا العنفوان وهذا االندفاع.

كان يستمع مجبرا لقهقهات النساء الالتي يجلبهن والده إلى المنزل, و حتى الشتائم التي يلقيها أخيه الفاتح للخادمة االثيوبية, لم يعرف أبدا من هي أمه ما شكلها, ما اسمها, لم يرى لها صورة أبدا, الشيء الوحيد الذي يعرفه عنها والذي يخبره والده به طيلة العشرون عاما هذه هي أنها توفت أثناء والدته, هذا كل شيء.

فاق من شروده اثر خروج أحد الحسان من منزل الفتاة, تتبع أثرها بنظراته حتى ابتعدت قليال فتبعها بالعربة, كانت ال تشبه تلك التي اسمها فاتن, لم يرى وجهها, لكن هذه أطول قامة وجسد ممتلئ, كانت مغربة أكثر من االثيوبيات الالتي يجدهن في بيت جبرة.

ثم فجأة هجم على المكابح كالمجنون حينما دخلت إلى منزل صديقه يوسف خمن أنها جاءت زيارة, أو أنها جاءت لتلك السيدة أو ربما هي جارة لهم, لكنه عاد ليتأكد أنها تسكن هناك, فحدسه أخبره أنها لم تطرق الباب دخلت بال تردد إذا هي تعرفهم جيدا و تربطها عالقة طيبة بهم, ربما هي أخت يوسف, حينها أوقف فكره القذر و قال لنفسه, أنها أخت صديقك و لن تفكر فيها هكذا مرة أخرى, ثم ادار محرك عربته وطار بعيدا. لم يرى فاتن,

هو ال يعرف حتى هذه اللحظة إن كان يحبها حقا أو ال, حتى االن لم يتأكد من ذلك, فهي ما زالت عصية مبهمة و متمنعة ال تسمح له بأن يقبلها أبدا, اقصى ما تسمح له به هي أن يمسك يدها و لكنه يريد أن يمتلكها و يتملكها, يحب الفتيات المتحديات والمتكبرات, من تشعر أنها أزكى منه, و تفهم كل أفكار الشبان تلك االيام, يريد أن يتحسس عينيها برفق و يقول لها أنا مختلف, دوما أحصل على ما أريده, إن كان بالحب أو بالحرب, إن كان بالطريقة التي تفضلها هي أو يفضلها هو.

هو فقط لمح العنفوان والحيوية في وجهها و شفتيها يريد أن يرى أبعد من ذلك,

يريد أن يصل ألماكن محظور الوصول إليها إال بتصاريح , يحب أن يكسر القوانين, يريد أن يتم االمر بطريقته الخاصة, باسلوبه الذي يحبه و يفضله, قد يتأثر بكلمة وقد ال يلقى لها اهتماما, و يتعلق بكل ما لم يألفه من قبل, يريد ان يجرب كل تحدي و يفوز به, و قد اصبحت هي تحديه.

تركيبته غريبة نوعا ما إلى االنسان الطبيعي, يصوم كل خميس واثنين و يفطر طوال شهر رمضان, عنده االمر طبيعي, قد يحبك و يكرهك في نفس الوقت, ال يقبل أبدا بشيء اسمه

هزيمة, و ال يوجد في قاموسه شيئا اسمه غير مسموح, قد يعالج المرضى و يتكفل باألليتام و يساعد الفقراء, و في نفس الوقت سيكون هو من تسبب في مرضهم, قد سرق أموالهم, و قتل آبائهم, رضى نفسه عنده في المقام االول, قد يكون هذا الرضا على هيئة صديق يسليه شهرين أو أثيوبية تقاسمه الفراش أو حتى التكفل برسوم دراسية لعشرون معسراز

قل يوما ما لصديقه مآذن إن سالمه الداخلي أهم لديه من سالم العالم أجمع حتى والده وأخيه.
ف إحدى المعلمات في مدرسته الثانوية لمجرد منعه من شرب السجائر في الصف ومحاولتها
تصويره, وفي اليوم الثاني جلب لها هاتف لم تراه
المعلمة إال في إعالنات التلفاز قيمته تعدت الثالثون ألف.

و بعد شهرين ضاجع نفس المعلمة و صورها عارية ونشر صورها على المواقع اإلباحية, و
بعد عام و نصف عاد ليسدد رسوم عالج ليتيم اتضح الحقا أنه ابن المعلمة التي انتحرت. ال أحد ينكر عليه أفعاله أبدا,
حتى والده الذي كان يتحكم في قراراته حتى فترة مراهقته فقد
السيطرة عليه, و بعدها ساءت االمور, ال أحد له السلطة لفعل ذلك االن.

إال أنه قد فكر في أحد االيام أن يختار ضحاياه بعناية فائقة, بعد أن حاول غواية بنت جارهم القاضي والذي عالقته
بوالده سيئة من االساس, فاخرج له القاضي مسدس و أطلق نحوه
رصاصتين في الهواء, بعد ان فر هاربا ناسيا محفظته.

بعد ان اخبر والده باالمر اكتشف ان هنالك اشخاص ال يستطيع ابيه كسب ودهم, تلك كانت المرة االولى التى يعنفه والده و يجبره على االعتراف بأنه مخطئ, رغم انه قبض عليه من قبل متلبسا يغتصب بنت الخادمة االثيوبية ال انه تركه ينتهي و ارسل االثيوبية و بنتها الى رحلة ال
عودة منها, لذلك

اقتنع تماما ان يحاول تجربة شيئا مختلفا هذه المرة, ان يستمتع باالمر, وان يعثر فيه على شغف واثارة جديد, هو قد جرب كل انواع النساء, الطالبة و المعلمة, الخادمة وبنت الخادمة و الشابة و الثالثينية و لم يتبقى له ال الفقيرة , والتى كان من المفترض ان تكون اسرعهن رغبة
لكنها ابدت مقاومة من الكلمة االولى مما زاد من شغف التحدي لديه.

و زاد الرهان بأن يفعلها بطلب منها وان تكون في غرفته, فهو يقدس غرفته تقديسا عظيما, و ال يحب ان يدخل احد اليها حتى والده, و قد قرر ذلك ليزيد من حماسه تجاه االمر, و يرى كيف يستطيع تكسير قوانينه من اجل ان يفوز بهذه الحرب و التى حتى االن لم يعلن عنها, اقله لم يعلم
الخصم انه خصم.

تريرة الكوفة

قرية تريرة الكوفة تبعد نحو ساعتين بالعربة الصغيرة, من مدينة السوكي شرق سنار, تقع في شريط النيل **ألزرق** حيث الوداعة و **السكينة** و **الهدوء**.

ال يتعدى عدد منازلها **أللف** منزل, شيدت من الطوب **ألحمر** المصنوع في الكمائن المحلية **التي** هي مصدر دخلهم **ألساسي بإلضافة** للرعي و**الزراعة** الموسمية خالف زراعة الخضروات **التي** تتكرر ثالثة **أو** أربعة مرات في العام, و **أغلب** شبابها من اجتاز المراحل الدراسية كان قراره **أن** ينضم لركب المدينة فيرحل **إلى** السوكي, او سنجة و في الغالب يلتحقون

بمواكب الريف المهاجرة **إلى** الخرطوم, منهم الطبيب و **المعلم** و **الضابط** و **المحامي** مجتمع رشيق و **صغير** و**محب** للخير و**محافظ** على القيم السودانية الجميلة و ظل واقفا أمام التمدن **ألخالقي** الفظيع الذي شهدته القرى المجاورة.

يستخدم سكانها عربات النقل الصغيرة أو ما يعرف محليا)**البوكسي**(كوسيلة مواصالت من و **إلى** المدينة السوكي, و **يفضلون** استـــــــخدام **بوكسي** تويوتا اصدار1998م **والتي** يلقبونها تحديدا بـــــــ)لهيب الشوق(على **أغنية** الفنان الراحل محمود **عبد العزيز التي** صدرت في نفس العام في هذا المناخ البسيط جاء الرجل الصالح دنقس برفقة حفيده محمد ليستقر بها **أواخر** السبعينيات من القرن الماضي و بعد **أن** وافته المنية تم تنصيب حفيده محمد المصباح

دنقس خليفة له حيث كان يقيم حلقات الذكر و يعلمهم أصول الدين الحنيف, بالإضافة للفصل في خصوماتهم.

وبعد زيارة محمد المصباح دنقس إلى عاصمة تشاد جاء ليزيد من توسعه في المجتمع المحلي حيث أصبح مشهورا باستخدام الجن لمساعدة المساكين والضعفاء حتى غدر به أحد طالبه وسرق أسرار اللعبة ليهاجر بها إلى مدينة الدمازين ليبدء إمبراطورية أخرى من التعامل بالسحر فقرر الرجل حينها ان ال يستخدم الجن إل بعد أن يختبر من طلب ذلك و يكون االختبار بإشراف الجن نفسه.

و صل مرتضى للقرية والشمس تصارع آخر شائعتها للمغيب, لم يكن يعلم إلى أين يتوجه أو من يسأل فقرر أن ينام الليلة في المسجد على أن يبحث غدا عن بيت الشيخ.

بعد أن فرغ الناس من صالة المغرب الحظ مرتضى أن هنالك رجل واحد جالس في الخلف لم يغادر وظل هكذا حتى صالة العشاء وبعد أن غادر الناس لم يغادر, ولم يسأل مرتضى عن سبب بقائه حتى شعر مرتضى بالحرج و ألكثر صراحة دعونا نقول ببعض من الخوف, اقترب منه و

بعد أن حياه أخبره أنه غريب عن المنطقة وقد جاء يقصد الشيخ دنقس, استأذنه الرجل على أن ينتظره خارجا حتى يغلق المسجد ثم سيدله على المكان.

لم يتأخر كثيرا و بعد لحظات كان يتقدمه نحو شمال القرية يمران عبر الحواشات المزروعة بالخضروات و االلزقة الملتوية وتعرجات تعبر بالزرعة الكبيرة و بين أشجار النيم والهشاب التي تنمو في تطفل في كل ركن من أركان القرية وانتهى بهم الطريق إلى غرفة واحدة من الطوب االحمر وامامها راكوبة من القش و جريد النخل, طلب منه الجلوس و أحضر له كوب من الماء ثم أعقبه بكوب من الحليب ثم أقسم عليه أن يتناول معه العصيدة الشهية التي أعدها بنفسه.

بعد أن انتهوا من تناول الطعام قال له الرجل,

- أخبرني أنا دنقس.

شهق مرتضى و كاد أن يقزف بكوب الماء من فمه و بعد أن استعاد توازنه قام ليسلم عليه

مرة أخرى ثم استطرد حديثه,
- حقا هذا أنت؟

ظننت أنني سأجدك في غرفة مغلقة و حولك بعض الجالسين و أوراق كثيرة بالإضافة لجمجمة ثور لها قرن واحد.

نهض الرجل و قام بترتيب مكان تناولهم الطعام ثم صمت لبرهة و استعاد حديثه,

- هو من أرسلك صحيح؟ و واصل دون انتظار الإجابة منه, أنا توقفت عن التعامل مع الجن, الناس هذه الأيام ليس بحاجة لمساعدتهم.

قاطعه,

- أنا بحاجة لمساعدتك, أنا أمر بظروف صعبة جدا و يمكنك أن تعلم بذلك ففي النهاية أنت أفضل من ذلك الشيخ, ضحك الرجل واستطرد قائل,

- نعم أنا أفضل منه ألنني ال أتجسس على أحد, و ال أعلم بما يخفيه الناس في صدورهم, اما هو يتجسس على الناس و يتخذ التعامل مع الجن كمصدر رزق.

- كيف يتجسس عليهم؟

بالتأكيد أخبرك بأنه متزوج من جنيه قالها بنبرة ساخرة و واصل حديثه,

أنت صدقت, ذلك الرجل هو كان مساعدي وهرب بعد أن استطاع التواصل مع خدمي من الجن, وقدم ألقوى خادم عندي تضحيات و تنازالت كبيرة جدا, و بالتالي استطاع بمساعدتهم أن يحصل على بعض النباتات و يصنع منها مسحوق يضيفه إلى الطعام حتى يجعل من يتناوله يتحدث بكل شيء أثناء نومه, يحتاج فقط ألن يجعلك خائفا و مشتت الذهن ليأخذ ما يريده منك بلسانك, و ليس هناك أمرا يجعلك ترتجف خوفا أكثر من أن تنام في منزل ساحر و زوجته جنية, االن أخبرني قصتك و ان أثارت اهتمامي جعلت الجن يختبرك و أن نجحت سيساعدك لكن تنكر أنا ال أضمن لك أنه لن يتأذى أحد فإستخدام السحر له عواقبه مهما كانت النية او طريقة استخدامه.

والنعدام خياراته رضخ لألمر وقص عليه.

لم يكن بالغرفة باب أو نافذة, فقط أربعة جدران و سقف الظالم هو رفيقه الوحيد ال يرى شيئا سوى السواد القاتم, رفع يده و لم يراها, ربما تخيل أنه يرفعها و تباعا تخيل أنه يقف و يدور ال يرى سوى اللون االسود و ال يسمع شيئا و ما هو أكيد منه أنه حي يرزق, صاح طالبا المساعدة,

هل من أحد هنا؟

هل يسمعني أحد؟

ال إجابة قد أقنعته بالهدوء, قد تمكن منه التعب واليأس معا فصمت, فإذا بضوء صغير يخرج من الجدار يكبر و يقترب من أنفه ثم يتوقف بعد أن أصبح أمامه مباشرة, كون هالة من الضوء, بدأت في االتساع ثم تكونت مالمح وجها, عينان كبيرتان شفتان صغيرتان و أنف مخروطية طويلة, تكون الحاجبان, نبت الشعر ثم االذنين و تدلى منهم قرطان ذهبيان.

تجمع باقي الجسم الكتفان, الصدر, حتى القدمين ثم اكتسى الجسد فستان أزرق طويل ذو وردة حمراء أعلى الصدر, يعرف هذا الوجه جيدا, ال يمكنه أن ينساه, يحفظ كل تفاصيل هذا الجسد, أنها فاتن, و فجأة تحولت قدميها إلى قدمي حصان و تدلى منها ذيل هدهد ثم سألته بصوت ضخم,

- هل تحبني يا مرتضى؟

- اتحبني بهذه الهيئة؟

صمت لفترة, كان يسأل ال وعيه, هل هذا واقعي أم أنا أحلم؟ و استدرك سؤالها,

نعم أحبك في كل حاالتك, كنت بشرا أم مخلوق غريب االطوار.

اقتربت منه أكثر وأخرجت سكين حمراء يتقطر منها دم ما,

صاحت بضجر,

- أنا ال أحبك يا مرتضى و انت ال تحبني,

ثم رفعت السكين و وجهتها مباشرة إلى يسار صدره, فصاح,

- ال أنا أحبك و سأحبك لألبد.

فتح عيناه ليجد نفسه نائما على سجاد مصنوع من جريد النخل و جواره الرجل الذي قال له,

- لقد نجحت, لكني قد ساعدتك في االختبار, حتى ال يحدث ما حدث من قبل حينما جاء إلي أحد الشبان بنفس قصتك هذه, و حينما فشل في االختبار و لم أساعده رمى نفسه في النيل, أنا ال أريد أن أتسبب في موت شخص آخر.

سوف أعطيك ورقة تكتب عليها اسم الفتاة بدم من وريد يدك اليسرى و تغلق عليه في هذه القنينة و ترميها في النيل معصوب العينين و تعود من هناك إلى هنا حافيا بعدها سوف تضع قدمك االولى على نار و الثانية على ثلج و تظل جالسا لساعة ال تتحرك فيها و ال تقول

شيئا أو تفتح عيناك حتى ينتهي الجني هل ستفعل هذا؟ أجاب مرتضى,

نعم سأفعل حتى و إن كان االلم سيكلفني حياتي.

بعد أن عاد من النيل حافيا وضع قدمه اليسرى في النار واليمنى في مكعبات ثلج صغيرة, و ظل جالسا منتصبا ال تالحظ فيه شيء و ال تسمع منه إال ضربات قلبه و تنفسه, مرت العشرة دقائق االولى والتي تليها والتي تليها و كل نصف دقيقة تمر يظن تماما أن الجن سوف يظهر له, لكن خابت كل توقعاته و لم يأتي أحد و أمره الرجل أن ينهض و يلبس حزائه أخبره أن االلم تم على خير و أنه أن عاد االن سوف يجد فاتن بانتظاره.

لم يتأخر ثانية واحدة نهض يحمل أشواقه على كتفيه, سيلتقي بحبيبته, بالفتاة التي ستناديه حبيبي, ال بل ستناديه زوجي, شكر الرجل و لم يقبل الشيخ بدوره أن يأخذ منه البياض)ثمن العمل(الذي قام به و ودعه شاكرا و غادر.

وصل إلى الميناء البري الخرطوم يحمل أشواقه بين يديه و عينيـــــه، كان غارقا بالكامل في أحالمه الوردية، ماذا ترتدي و هي تنتظره على الرصيف , ماذا تحمل بيدها اليمنى؟ هل ستعانقه حقا أمام الجميع.

و ما لبث أن أصبح بكامل جسده خارج البوابة الحديدية القديمة و البائسة حتى وقف يحلق في كل اتجاه، يتفحص كل الوجوه، يريد أن يرى لهفة االنتظار على وجهها، و لم ينتبه حقا للسحب المتراكمة و المياه التي في كل مكان, حيث تمشي عليها السيارات بإختفاء عجالتها تماما كأنها مراكب شراعية أو قوارب صيد، النفايات تطفو على الماء الذي يغرق كل مكان إال الرصيف، لم يلحظ ذلك أبدا، يريد أن يرى شيئا آخر، شخصا يحبه، بعد أن عجزت

عيناه عن رؤيتها عدل حقيبته الصغيرة على ظهره و رتب هيئته ثم الحظ أخيرا المناخ الخريفي الذي جاء مبكرا هذا العام على غير العادة، و رغم ذلك لم تمنع االمطار بائعي العصائر المتجولين و بائعات الحمص و الفول السوداني من مزاولة مهنتهم.

كانت النساء تجلس على حافة الرصيف في طريق العربات التي تتوقف عادة النزال الركاب و إعادة الشحن مرة أخرى, و بعد أن اغرقت المياه مكانهن ضايقن المارة فوق الرصيف.

تمشى قليال على الرصيف حتى بلغ العربات التي تتجه نحو منطقة السلمية و التي تتوقف في ناحية السور الشمالي للميناء البري، رجح أنها تأخرت بسبب االمطار أو أنها لم تجد العربات, ففي هذه االوقات من فصل الخريف يكون توفر المواصالت في منطقة السلمة أمر صعب جدا ألن المياه تنظم وقفات احتجاجية تغلق بها الطرقات هذا إن لم تدخل منازل السكا الطينية لذا كان من الطبيعي ان ال تأتي، أو ربما جاءت مبكرا وحينما تأخ عن الوصول عادت تحوطا من

موجة أخرى من المطر تعلق بسببها حتى الصباح خارج المنزل، بعد شد و جذب استقل آخر عربة متوجهة, حيث بدأت االمطار في الهطول تدريجيا و استغل مساعد السائق الوضع و زاد من قيمة التعرفة، طالته شتائم الركاب و منهم من قرر دفع فقط القيمة المعروفة و الثابتة و التي ارتفعت العام السابق في مثل هذا الوقت منى العام و

لم تنزل أبدا بعدها و بعد شد و جذب ارتضى الركاب الرضوخ لألمر خوفا من االنتظار تحت المطر، و بعض الفتية االشداء دفعو فقط القيمة الثابتة عنوه وقد كان مرتضى من الذين دفعوا التعريفة الجديدة, لم يكن يهتم باالمر فهو يريد فقط الوصول و بسرعة و لم يهتم ايضا لتحزيرات بعض الساخطين, ان مثل هؤالء الذين يدفعون ما يطلبه اصحاب العربات هم من يدفعوهم لالستمرار في جشعهم, و هم نفسهم من يدفعون الحكومة لعدم االهتمام بغرفة المواصالت
الداخلية.

وضع سماعة في اذنيه وغاص في احالمه الموسيقية الهادئة، قد بدء يخطط من االن للزواج, سيختار هذه الموسيقى لدخوله قاعة الحفل سيقيم الحفل في قاعة اماسينا المجاورة لجامعة افريقيا العالمية، قال لنفسه ايضا انه سوف يعود للدراسة فما زالت لديه الفرصة سيسحب استقالته و يعوض ما فاته من محاضرات، االن حياته بدءت تتحسن، و السعادة بدءت تزوره مجددا، عليه االن ان يصل الى السلمة و سيلتقي بها، ربما سيجدها بانتظاره، في موقف العربات، ثم زكر نفسه ان العربة ال تستطيع الوصول الى موقف العربات بسبب المياه الراكضة في الطرقات, ال يهم سيكمل الطريق الى المنزل خوضا للمياه.

ما زال يفكر و يخطط لحياته التى بدء يغزوها الفرح حتى ايقظه مساعد السائق من غفوته القصيرة معلنا بتوقفهم هنا.

بعد أن استراح من إرهاق الرحلة الطويلة قادما من سنار، أعدت له رقية الطعام تناوله بشيء من التوهان وفقدان الشهية, لم يسمع منها ما يشير إلى أن فاتن جاءت منزلهم اليوم، بل لم تلمح إلى شيء يخصها كعادتها دائما، و اكتفت بسؤاله عن رحلته إلى الدمازين و ماذا فعل امه للجيش, و قد واسته ببعض الجمل التشجيعية بعد أن أخبرها لعدم اجتيازه الفحص الطبي، أخبرته أنها تعلم بتدخينه السجائر و ال تستطيع أن تلقي عليه الأوامر الآن ألنه راشد وعاقل و قالت له ايضا, - أتمنى أن تتركه فقد كان سببا لعدم اجتيازك االختبار و ان لم تتركه سيكون له تأثير كبير على صحتك.

لم يكن يسمع شيئا منها, كان يسمع لقلبه الذي يزداد خفقان كلما حاول أن ينسى السيناريو الذي يتخيله كل يوم، و يحلم به في كل مرة يضع رأسه في الفراش، و يضايقه حتى في أكثر أوقاته سعادة، أحيانا يزوره حتى حينما يدخن الحشيش برفقة كوما, ماذا إن لم ينجح الأمر، ماذا إن هي لم تفكر به مطلقا، والأسوء أن تقدم ذلك الصعلوك لخطبتها, ماذا سيفعل حينها؟ احتفظ لنفسه باإلجابة, وخلد للنوم, و فضل أن يوم غد سوف يلتقي بكوم و بعدها إن كان سيلتقيها أم ال.

لوحة العربة

استعد جيدا لهذا اليوم, ارتدى بذلته الرمادية المفضلة, لم يرتدي ربطة العنق

كما أخبرته أمه بذلك, فهو تعود أن يلتقيها في المنام تخبره ما تحبه ان يرتدي من االلوان وما يليق به من ماركات و اللون الرمادي لونه المفضل مثل أمه, رغم ان امه قد توفت منذ زمن بعيد في المملكة العربية السعودية كما اخبره والده, ال انه يلتقيها كل ليلة في منامه و احيانا يلتقيها في اللحظات التي يحتاجها فيها, امه قد فارقت الدنيا لكنها لم تفارقه, صحيح انه لم يلتقيها

حتى انه لم يعثر على صورة لها لكنه يتخيلها في عقله و قلبه, و اليوم يفتقدها بشدة حد انه ال
يستطيع ان يجمع ما يكفي من قوة ليرسمها في عقله الباطن.

قد وجد كرار التهامي أن ال مفر من الواقع الذي أمامه، أن ابنه تعلق بها بالكامل، و عملية فصلهم لن تنجح بالقوة أو اقله لن تنجح بصورة مباشرة عليه أن يقربهم االن و سوف يجد طريقة ما ليزعزع بها عالقتهم الحقا، فالفقر الذي تعيش به تلك الفتاة كفيل أن يجعل
بعض االف الجنيهات تقضي على أي التزام تعهدت به يوما, لذا رضخ البنه و سوف يذهب
برفقته يتقدم لخطبتها له هذا اليوم.

في المساء قبل صالة المغرب بقليل خرج التهامي و ابنه الفاتح و العريس السمؤال في سيارة شيفروليه حمراء موديل 2010 ، يحملون الهدايا، بعد نصف ساعة كانت السيارة تتمشى في
المياه النائمة في هدوء على طرقات المنطقة.

و ما إن وصلوا الحي حتى وجدوا يوسف بانتظارهم على جانب منزله طالب منهم أن يترجلوا، لكنهم اعتذروا له، لديهم موعد مع أسرة ما قريبة هنا، و سوف يعودون إليه بعد ساعة أو ساعة و نصف، ودعهم بابتسامة مرحة وحينها كان مرتضى قد خرج من المنزل ويراقب الموقف في
هدوء، اقترب من يوسف و قبل أن يسأله بشيء قاطع يوسف فضوله.

- هذا صديقي السمؤال الذي حدثتك عنه وأسرته جاءوا زيارة إلى أقاربهم و سيمروا علينا بعد ساعتين ربما.

عاد مرتضى إلى الداخل،

أحس قدميه كأنهن لم تعودا تقوى على حمله،
ماذا قال يوسف االن؟ إن السمؤال صديقه؟ و ماذا جاء به إلى هنا؟

ال يمكن أن يكون هذا نفس الشخص، ال يمكن أبدا أن تكون صدفة،الصدف ال
تكون قاسية إلى هذا الحد،

شعر بضيق، شيئا ما يخنقه، يضيق عليه نفسه، أحسها يد ما تخنقه يد ناعمة لكن ال
يعرف أنها يد السمؤال أم يد فاتن، ماذا سيفعل االن؟

هل يجلس و يراقب حب حياته يسرق من أمام عينيه؟
كان يقول لنفسه،

فعلت كل شيء ألجلها، أضعت حياتي بسببها، و االن تريد أن تتغافل عن ذلك، كم كنت أحمق.

ظننت أن الحب شيئا مقدس، ظننته أعلى مراتب التقدير، لكنني اكتشفت الآن أنه مجرد وهم، أن الحب هو مجرد هالم نعلق بداخله, أشبه بالسحاب ال يستقر في مكان واحد. لقد خدعونا و قالوا إن الحب ينبت باالختالف و يكبر باالهتمام، وان ال شيء يستطيع أن يضاهيه.

لكن اآلن أرى الحب فقط لذوي السلطة و الجاه لذوي المل و الحسب و النسب.

واهما من يظن أن الفقر ال يمنع الحب، المال هو كل شيء، نحن الفقراء ال نصيب لنا في الحب، نصيبنا فقط في الذل و الهوان و السحل خلف لقمة العيش، فاألغنياء هم من يتمتعون به، كل تلك اأفالم و الروايات كاذبة، ال حب حقيقي في حياتنا، فهذا ليس عصر قيس و ليلى و ال جميل و بثينة، و إن كان هنالك قيس حقيقيا مثلي لن يجد لياله أبدا.

كل هذه اأمور تعبث في عقله، تسكره، خرج مشتت الذهن, و بال إرادة توجه نحو منزل حنان، كانت الساعة تشير إلى السابعة، بعث لها برسالة,

أنا ذاهب إلى منزلك سأنتظرك هناك, اتركي إحدى فتياتك والحقيني.

ألح يوسف على صديقه السمؤال و أسرته أن يتناولوا الشاي ثم يسمح لهم بالمغادرة، لم يكن مرتضى سعيدا بهذا اأمر لكنه كتم غيظه و جلس على مضض برفقتهم, لم يستطيع الهرب من المواجهة, أو عاد لينفذ توجيهات حنان التي قالت له, أجلس معه, و تفحصه عن قرب واكتشف عيوبه و محاسنه, لتعرف الفرق بينكم, و لما تفضله فاتن عليك.

كان نظره شاخص نحو السمؤال طيلة فترة بقائهم.

شاب وسيم ذو بشرة صفراء عيناه صغيرتان وأنف طويلة و حاجبان كثيفان كان يبحث عن عيب فيه، يريد أن يجد فيه بزرة أمل، ربما تغير فاتن رأيها فيه، و لم يجد شيء, كان يعلم تمام العلم أنه أكثر وسامة منه، و أكثر سحرا بعينيها، ال أمل بتاتا في حدوث شيئا ما، عليه أن يتقبل الخسارة الفادحة.

و كأن كرار التهامي تقصده فقد تحدث عن إعجابه الشديد عن خطيبة ابنه و أدبها ناهيك عن جمالها، و ظل يسخر في فقرهم طيلة الوقت بإبداء مظاهر الترف في الهدايا التي جلبها لنسابته المستقبليين.

ضاق مرتضى زرعا من الجلسة و استأذنهم ليرد على مكالمة اصطنعها اماهم عن طريق منبه هاتفه، و بعد أن أطفئ سيجارته أمام العربة الحمراء هم بالعودة للداخل ليتفاجأ بشيخ التهامي أمامه مغادرا و من خلفه ابنيه, ناوله قصاصة ورق صغيرة و مضى دون أن يقول شيئا و تبعه الفاتح و السمؤال وخلفهم يوسف. قال له

السمؤال بينما يهم بفتح باب العربة

- أود أن ألتقيك برفقة يوسف المرة المقبلة، لقد سمعت الكثير عنك .أجابه مرتضى بابتسامة مصطنعة,

- أتمنى أن تكون سمعت عني خيرا و أكمل حديثه، بالتأكيد سنلتقي ثم ودعهم وغادروا.

في اليوم التالي استيقظ متأخرا، ليقرر الذهاب إلى جامعة الخرطوم، يرى أنه قد اكتفى، ال يريد أن يضيع نفسه خلف شخص ال يراه من ألساس، قد فعل ما يتوجب عليه فعله، و وجد نفسه في ألخير ضحية لحب مزيف تبخر قبل أن يناله، بينما كان يرتدي قميصه لمح قصاصة ورق صغيرة تزكرها فورا، فتحها ليجد أربعة أرق ام وحرفين، و بقليل من االجتهاد عرف أنها ارقام لوحة عربة ما، تجاهلها و أكمل ارتداء مالبسه, وضع عطره القادم من كندا، كان قد أهداه له يوسف قبل أربعة أشهر و قد قرر أنه سيستخدمه حينما يذهب ليلتقي فاتن في منتزه ما.

لكنه االن وحيدا، يعتمر أحزانه و يستأنس بأحالمه العصية، لذا رأى أن يستخدمه االن في اهم ايام حياته، بعد ان كان اليوم الذي سيلتقي بها هو اهم يوم.

سار قليل حول سور المنزل تجنبا للماء الراكض في منتصف الطريق، وقد استوقفه امر العربة التى تسير محازية له في االرض الصلبة و قد الحظها منذ ان غادر منزله، توقف قليال و امعن النظر في اللوحة فإذا هي نفس الرقم، تغاضى عنها و اكمل مسيره، كانت تتبعه، يلتفت اليها تتوقف يتحرك تتحرك معه، استدار و ذهب نحوها مباشرة انتهى امام باب السائق، لينا ديه

صوت من المقعد الخلفي

- اركب يا مرتضى ال تخف، تزكر هذا الصوت، كان برفقتهم البارحة و تناول معهم الشاي،

جلس بسرعة واغلق باب العربة, لم يلقى التحية عليه و سأله مباشرة,

- لما تلحقني؟. .

أود الحديث معك اعلم أنك في مزاج سيئ واعلم السبب وقد جئت االن حتى أعرض عليك صفقة

- عفوا أنا ما زلت طالبا و ال اعمل حاليا.
إنها صفقة مربحة لك و لن تخسر شيئا
- لست مهتما, قالها و هو يفتح باب العربة و يندفع خارجا,

ثم توقف, قدم على االرض و االخرى ما تزال داخل العربة حينما سمعه يقول,

- انها حول فاتن.

عاد للداخل و بنبرة حكيمة قال, دعني
اخبرك عن االمر لم يكن هنالك شيء بيننا، في الحقيقة لم و لن يكون هنالك ابدا، انا فعال احبها لكنها ال تحبني, لذا االمر طبيعي جدا و ال تخف من شيء لن اوذي ابنك ابدا فالزواج كما
هو معروف قسمة و نصيب.
ربت على كتفه و رسم ابتسامة هادئة على شفتيه و استطرد.

- حسنا, اعتقدت انك ستكون مهتما في حال حدوث شيئا ما يمنع هذا الزواج,

عم الصمت المكان للحظات ثم خرج مرتضى و قال له بينما يغلق باب السيارة.
- اعتقد انك تعرف كيف تتصل بي لدي موعد مهم جدا االن,

قاطعه الرجل.
اذا دعني اوصلك ان مدير جامعة الخرطوم صديق لي و سنواصل الحديث عن التفاصيل في الطريق.

- كيف عرفت أنني ذاهب الى جامعة الخرطوم. .
أشعل الرجل سيجارته و مد له سيجارة ثم قال و هو ينفث الدخان عبر النافذة,
عرفت كما عرفت انك تدخن السجائر, و قد سافرت الى الدمازين.
-حسنا يبدوا انك ال تعقد صفقات مع اشخاص قبل التحري عنهم, فلنذهب الى الجامعة أألن و سوف أمر عليك في المساء وسنتحدث حينها.

ثم غاصت العربة في المياه الساكنة مخلفة ورائها فوضى عارمة.

وصل مرتضى في موعده تمام الخامسة مساء لمنطقة جبرة, حيث منزل شيخ التهامي الكبير وهو عبارة عن فيال تتكون من اربعة طوابق بنيت بالطراز البريطاني القديم حيث القباب االسطوانية المصنوعة من الرخام والحديد ,ذات سور قصير ال يتعدى المترين واشجار لم

يعرفها ولم يراها من قبل, امام الفيال حديقة انيقة واشجار الفواكه وفي ركن ما تم وضع قفص للكالب الستة الكبيرة والشحمة التي تم استيرادها من الهند وروسيا ,استقبله الحارس باحترام كأنه ألتقاه من قبل وسمح له بالدخول دون حتى ان يطلب منه االنتظار ريثما يستأذن اهل المنزل, وقد لمح نظرات الحارس المشفقة والمستحقرة لبنطاله االسود القديم وقميصه

االبيض وجزمته الرياضية التي ال تناسب هذا االستايل الكالسيكي, كتمها في نفسه واكمل طريقه, التقى السيد كرار امام الفيال ,وبعد تبادل التحايا جلسا قرب حوض السباحة الذي يقع خلف الفيال تحديدا في الجهة الخلفية للفيال, احتسيا كوب من القهوة ثم اتفقا على كل شيء, كان مرتضى سعيدا, لم يعرف مثل هذه السعادة منذ وفاة والديه, يشعر انه االن بات يستحق ان ينال حب فاتن, يشعر باالمتنان الكبير لهذا الرجل الطيب, الذي قرر مساعدته كان

بامكانه ان يمنع الزواج وال يهتم بامر حبه لفاتن, يستطيع ان يجعل ابنه يتخلى عن حبه لفاتن, لكنه عوضا عن ذلك قرر مساعدته, قرر ان يكون المالك الذي يجمل حياته البائسة, فقط ان سارت خطتهم كما يريدون سينتهي كل شيء على ما يرام ,وستعود فاتن لحياته, ربما سيعرض عليها الزواج ان لم تتعجل هي وتطلبه قبله, وقبل ان يغادر لم يستطيع ان يتجنب فضوله وسأله. . .

-لم تساعدني؟ لما تفعل هذا؟. .

اجابه الرجل في وقار وهو يقلع نظارته. . كما ترى

انتم اشخاص جيدون ,وقلوبكم بيضاء وصادقون في مشاعركم, اما السمؤال فهو

كالطفل, ان احب شيئا لن يستسلم حتى يناله ,وامور المراهقين تلك لم يتخلى عنها حتى االن, ان اعجبته فتاة ماء لن يهدء له بال حتى يحصل عليها وبعد ان يقضي مصلحته يتخلى عنها, انا ال اريده ان يأذيها ,وقد يحطمها تماما ان انفصل عنها, لذا اريد ان اتجنب ذلك, انا زرت هؤالء الناس هم حساسون لدرجة كبيرة وهي كذلك بنتهم الوحيدة, ان حدث شيء ما لها سيتأذون جميعا, يمكنك ان تقول انني اريد ان اجنبهم ما قد ينتج من ابني, لذا ان كانت هي فعال قد اقتنعت بوجود احد في حياتها غيره يحبها ويهتم بها, تستطيع الصمود, قال ذلك بنبرة حانية.

بعدها استاذنه مرتضى بإنحنائه من رأسه وابتسامة مرحة وهو يغادر. قد وافق عميد كلية االعالم بجامعة الخرطوم على طلب مرتضى بالسماح له باستكمال الفصل الدراسي الذي شارف على االنتهاء وقد اكد له انه يقدر شيخ كرار التهامي الذي توسط له, وال

كان عليه االنتظار حتى العام القادم. احتفل مرتضى برفقة رقية والعمة سامية ويوسف بعودته لمواصلة دراسة االعالم, تناول الشاي

بالحليب والزالبية اللذيذة التى صنعتها رقية على طريقة والدتها, وقد اكد يوسف لمرتضى طيبة هذا الرجل وهمومه حول الشباب ,واخبره مرتضى انه سيعمل معه مدير حملته االنتخابية على فيسبوك وسيعمل معه ان فاز في االنتخابات حتى تخرجه وسيضمن الوظيفة في صحيفة ما, او

التلفزيون. وقال

له يوسف ان كل هؤلاء الذين ال ينتمون للعرب والذين يعملون في مختلف المناصب الكبرى والوظائف الراقية انما وصلوا اليها عن طريق عملهم مع امثال كرار هذا. . لذا عليه ان يتمسك بهذه الفرصة الذهبية وسيكون له شأن عظيم ويستطيع ان يتزوج من أي فتاة يرغب بها, كان يستمع له بحماس وقد قال في نفسه, لن افوت هذه الفرصة ابدا ,وسوف اجد النفوذ لعرض

مشاكل مجتمعي وقضاياهم, ان السلطة هي السالح السحري المفقود في عالمنا هذا. خرج بعدها ليدخن الحشيش برفقة كوما وكانت تجول بخاطره احالم كبيرة, لن يترك تلك المرأة الطيبة ان تعمل بائعة شاي وتسمع اقبح االهانات والشتائم لن يتركها تعمل كعاهرة, سيساعدها, سيساعد كل امراة تعمل بائع شاي وكل امرأة تعمل عاهرة, لن يلجئن لبيع شرفهن ليطعمن صغارهم, سيهتم بالشحاذين الذين يضايقون المتجولين في االسواق وسيتحدث عن مدمني

المخدرات وسيجعل كوما ايضا يتركه, سيوظف العاطلين عن العمل, الذين يقضون طوال اليوم في النوادي, سيتحدث عن ظاهرة النيقرز وعن هجومهم على البيوت وعن اللصوص الذين يقتاتون من مال االخرين, عليه ان يضع مصلحة مجتمعه االن فوق كل اعتبار ,واالهم من ذلك سيتزوج فاتن ولن يكون فقيرا بعد االن فهو ما زال يعمل في وظيفة مؤقتة وله راتب ثالثة الف جنيه اسبوعيا لكن بعد ان يتوظف بشكل دائم سيجمع القدر الكافي من المال وستوافق على الزواج منه بعد نجاح خطتهم, سيعالج والدتها من السرطان.

حتى بعد أن جلس برفقة كوما لم يستطيع منع تدفق اأفكار في رأسه، أن مجتمع السلمة يحتاج لضبط مصنع، يحتاج لهدمه وبناءه من جديد، عليه أن يبدأ من االن وقد وافق كوما على مساعدته في مشروعه الذي سماه إعادة بناء السلمة أخالقيا.

قد فسر كوما ما يهذي به مرتضى، ذلك أنه قد انتشى تماما، و فقد ارتباطه بالعالم الطبيعي و طار إلى عالم اأحالم التي تصنعها الحشيش، و قد قرر مرتضى أن يختار يوسف أيضا في فريقه و كذلك حنان.

انتهى من السيجارة الثامنة و ال شعوريا قذف بجسده على اأرض التي يفترشها الرمل و غاص في النوم.

عيد ميالد سعيد

ارتدت فستان أزرق صافي الزرقة، قرطان ذهبيان وتاج فضي صغير، كانت في أبهى صورها، أكثر لحظات أنوثتها اكتمال، وضعت سوار كستنائي اللون على معصمها األيسر و أكملت لوحتها الفريدة بعقد من ذهب تتدلى منه لؤلؤة زرقاء، أخبرها يوسف أن هذه اللؤلؤة اسمها الزوريت نوع من األلحجار الكريمة التي يتزين بها الملوك، و قال لها؛ إنها ملكته وال
شيء يغلى عليها.

ودعت والدتها بقبلة على جبينها و خرجت لتلتقي السمؤال، كان ينتظرها في عربته، وسيما في ثقليعته الرسمية، بدلة سوداء و وردة حمراء في الجيب األلمامي، لم تروق لها المفاجأة التي
تجلس بجانبه، هي تعرفه جيدا فهو يسكن جارها في الحي، و هي ال تريد ألحد في المنطقة بان يتعرف على خطيبها الجديد، سيحسدونها فيه، بل سيكيدون له كيدا، ان الحسد يجري في عروقهم و يتخلل الهواء الذي يتسرب الى رئاتهم، لكنها أخفت مشاعرها الغاضبة خلف ابتسامة خفيفة، رد عليها يوسف التحية بأفضل مما سلمت به عليه و لم يستطيع أن يخفي ابتسامته المتفاجأة بهوية الفتاة التي قد خطبها صديقه، فهو يعلم تمام العلم بان مرتضى يحبها، أو يسعى
ورائها.

تحركت السيارة نحو فيال أسرة السمؤال حيث سيحتفلون بعيد ميالده الثاني و العشرون و
بإعلان والده ترشحه في االنتخابات التي يتبقى لها عام واحد فقط.

الحضور البهيج لم يتخطى الثالثون شخصا من أصدقاء العائلة، الجنرال الطيب عباس و بعض اللذين تجمعهم مصالح في العمل و زوجاتهم أضف إلى ذلك خمسة من أصدقاء كرار التهامي من تنظيم الحركة اإلسالمية و جارهم الطبيب، باإلضافة للفاتح الذي لم يكن برفقته أحد من
أصدقائه إال صديقة أثيوبية فارعة الطول و قد زادها الحذاء ذو الكعب العالي بضع سنتمترات،
اما مآذن و بوسف فهما في حسبة أصدقاء للسمؤال.

اجتمع الحضور تحت األلضواء المتقطعة و الملونة حول حوض السباحة، يتناولون الخمور و يغازلون زوجات بعضهم البعض و يدعون أنهم صالحين، يستمعون للموسيقى األلجنبية و ال
يحترمون حتى الشباب الذين في سن أوالدهم.

وصلت الملكة المستقبلية، كانت تسير برفقة السمؤال كأنها عارضة أزياء في تقديمها األلول، كانت جميلة للحد الذي يجعلك تكتم أنفاسك حتى تستطيع مشاهدتها و هي تسير تحت األلضواء الملونة، كانت تبدو كأنها واحدة منهم، ولدت في بيت من حرير و في فمها ملعقة ذهب، ال يبدو عليها أنها من تلك البؤرة المليئة بالبؤس و الفقر المدقع، استقبلها الحاضرين باحترام وافتتان
وتفنن أصحاب اللحى في مغازلتها، أخذت جانبا برفقة السمؤال بينما يوسف ظل يسامر مآذن و
يهتمان بمؤانسة بعض الذين يعتزلون الخمور و المشروبات الغربية الغربية.

رغم البهجة التي كانت تبدو ظاهرة على الجميع إال أنهم يفتقدون أحد ما، يفتقدون شخصا دونه لن تكتمل السهرة، و ما هي إال لحظات حتى ظهر الفاتح برفقته صديقته السمراء، كانا ثنائيا جميال و قد خطفا أنظار الحضور و انهالت عليهم عبارات الثناء، برغم أن األلثيوبية لم تفهم شيئا
إال انها كانت ترد عليهم بابتسامة مرحة، رغم ذلك لم يكونا هم من ينتظرهم الجميع.

مرت النصف ساعة و أغلب الحضور قد تعب من الوقوف و اكتفوا من المشروبات و تناول الفواكه، و شيئا فشيئا أخذ الجميع مقاعدهم، و شغلوا أنفسهم بالحوارات الثنائية مع استماعهم
لموسيقى هادئة.

انقطعت الموسيقى تزامنا مع صوت رخيم و متزن من خلف المايكروفون، رحب بالحضور وأكمل؛

أشكركم على تلبيتكم دعوتي و حضوركم هذا الحفل المتواضع، اليوم لدينا سببين لنحتفي بهم أولهم، يوم ميالد ابني الصغير السمؤال الذي يكمل عامه الثاني و العشرون، السبب الثاني فهو إعالن ترشحي لمنصب والي الخرطوم ممثال لحزب المؤتمر الوطني في انتخابات العام القادم، قاطعه الحضور بالتصفيق و التهليل و التكبير، وأكمل،

لذا دعوني أقدم لكم المسؤول عن حملتي االنتخابية في مرحلتها األولى األستاذ؛ مرتضى حسين؛

أكملوا التصفيق إال واحد،

أكملوا التكبير اال واحد،

كان الجميع مسرورا اال واحد،

كي أكون أكثر إنصافا كانت واحدة.

نظرت إليه بتمعن، يبدوا مختلفا، ليس مرتضى الذي تعرفه، كانت تبحلق في بدلته الرمادية في سخرية، من أين له بهذه؟

وما الذي يفعله هنا في بيتها المستقبلي؟

بل كيف تعرف بهم؟

كلها أسئلة كانت تخفي بها صدمتها حتى ال يالحظها أحد، ال تستطيع االنصراف من الحفل، فهو لم يبتدئ بعد، نظرها موجها عليه بالكامل، تغير كثيرا منذ أن رأته آخر مرة، رغم أنه يسكن جارها في نفس الحي إال أنها ال تصادفه كثيرا و آخر مرة رأته فيها قبل تسعة أشهر، حينما أخبرته بأنهم أصدقاء فقط، و بعد أن هدأت عاصفة المفاجأة، عادت للتركيز في الخطاب الذي يلقيه، بات اآلن مختلفا كثيرا عن ذلك الشاب الخجول، الفقير، ذلك البائس الذي تعرفه، يبدو أنه بدء في التماس طريقه نحو أحالمه، انتبه السمؤال لشرودها، فلكزها ممازحا، هل تحبينه، التفتت إليه بغرابة ثم صمتت برهة و قد أزاحت نظرها من عيناه، واستطردت،

ال؛ أنا أحبك أنت فقط، تبسم مرحا

و قال و هو يمسك بيدها-

- اعلم ذلك؛ كنت أمازحك فقط، هيا ابتسمي ال يفترض بك أن تكوني في مثل هذه الحالة تحديدا اليوم.

انتهى مرتضى من الخطاب و أخذ مكانه في الحفل جوار كرار التهامي و الجنرال الطيب عباس، كانت تراقبه من بعيد، حديثه مع هؤلاء الناس، طريقة كالمه و إشارات يده، كلها تنم عن المكانة التي و صل إليها، سألت نفسها)هل هو يحبها حتى اآلن(ثم طردت هذا السؤال قبل أن تتخيل اإلجابة، قالت لنفسها تبقى فقط القليل عليها أن تصمد وتصبر، النهاية قريبة جدا، عليها
أن تحافظ على مشاعرها حتى تتزوج، أن أمها تحتاج للعالج، ال بل للعملية الجراحية العاجلة و بعد شهر من اآلن إن لم تستطيع إجراءها، ستموت، نعم ستموت و لن تسمح بحدوث ذلك.

هي حتى ال تعرف حقا أن كانت تحبه أم تحب خطيبها، لكنها تعلم أنه يحبها حقا؛ و أصعب ما قد يمر به المرء هو عدم تبينه حقيقة مشاعره؛ أن تظل قريبا من أحد و ال تستطيع التمييز بين
الحب واإلعجاب هو لشعور مستفز.

تناول الحضور العشاء ثم استمعوا قصة من أحد أولئك الخمسة أصحاب اللحى الطويلة، تحدث فيها عن خطتهم لتدعيم الشريعة اإلسالمية و تعزيز هوية اإلسالم في السودان، هو واحد من نفس هؤلاء الخمسة الذين تناولوا الخمر في بداية اآلمسية، كان يوسف يشتمه في نفسه، أن مثل هؤلاء المنافقين هم من يدمرون السودان، و من يسيئون لإلسالم، يتخذون الدين وسيلة للعب
بعقول شعبنا المسكين و الجاهل لمثل هذه اآلالعيب.

ناهزت الساعة الثانية عشرة إل عشرة دقائق، نادى السمؤال مرتضى و قدمه لخطيبته تلقاه بعناق مرح ثم قال و هو يناديها بإشارة من يده،

- هذه فاتن خطيبتي لم أجد الوقت الكافي ألخبرك عنها، أنها تسكن في نفس الحي جواركم.

رسم مرتضى ابتسامة ماكرة ثم مد يده؛

- السالم عليكم.

و عليكم السالم.

صافحته بتعجل لتسحب يدها بسرعة و نظرها طاعنا نحو الأرض

- تشرفنا أستاذة فاتن.

صمتت، أنقذ السؤال الموقف.؛

- هل نجلس؟

لم تستطيع النظر في عينيه، كانت تشارك معهم في الحديث و نظرها شارد بعيدا عنهم، و لم تجد متنفسا لها سوى بعد إطفاء الأضواء، ركز الجميع نحو الطاولة الكبيرة أمامهم حيث قطعة الحلوى الكبيرة عليها اثنان و عشرون شمعة طلب من السمؤال أن يقف بقربها، لينهض و
يتركها.

يتركها برفقته،

يتركه برفقتها،

يتركهم برفقة بعضهم البعض،

اقترب منها و امسك بيدها، ازدادت ضربات قلبها، لم تسحب يدها هذه المرة، لم تقل شيئا، هي أحبت أن تكون معه؛ الآن تأكدت أنها تحب أن تكون معه، شعرت أن كل مخاوفها قد تبددت و تبخرت، أحست أنها تعرفه، أنها تعشقه، لو كان امسك بهذه اليد من قبل لما كانت قد وافقت على
الخطوبة،

يداه خشنتان،

قويتان،

و حانيتين.

همس لها،

- أحبك، أنا ما زلت أحبك.

ها؛ قالت ذلك بصوت مرتجف و أكملت،

اترك يدي قد يرانا أحد ما.

- وهل الحب عيب؟ دعيهم يرونا.

ليس مقدر لنا أن نكون برفقة بعضنا البعض؛ ال يمكنني التراجع اآلن قالت ذلك بيأس.

وضع يده األلخرى أيضا؛ ممسكا بيدها بقوة، و قال بصوت أعلى، - أن القدر هو

ما يجمعنا اآلن، أنت ال تعلمين الغيب و ال أنا، أن أراد القدر أن يجمعنا ال قوة في
األلرض ستمنعه.

سحبت يدها، تذكرت أن هدفها قد يضيع بسبب نزوة صبيانية قصيرة، رأت أمها في حوض السباحة النائم خلفهم،
رأتها تبتعد منها، تغرق، تموت، فقط شهر، عليها الصمود شهر حتى
تتحرر من هذه العالقة، عليها أن تصارحه بالحقيقة، أنها تحبه، نعم تحبه، لكن تحب أمها أكثر، ستفضل العيش زوجة ألي
شخص, إن كان ذلك سيجعل أمها على قيد الحياة، ستعيش مختنقة
مدى العمر لتوفر لها التنفس الكافي إلبقائها في عالم البشر لحين آخر.

عادت من رحلة تفكيرها، قررت أن تبوح له بكل شيء، أحالمها البسيطة، المشروعة، أو حلمها الوحيد، سيتفهم
مرتضى ذلك فهو قد فقد أمه و يعرف شعور الخسارة، أعادت يدها في نفس المكان لم تجد يده، قررت أن تفعل هي
ذلك، قدمت يدها، لتجد المقعد فارغ، رفعت بصرها نحو
الحضور لتجدهم يصفقون و يرددون،

happy birth day to you

happy birth day to you

happy birth day elsmwael

happy birth day to you

ثم أطفئ الشموع.

عادت االضواء إلى المكان، هذه المرة رأته بوضوح، كان يقف بعيدا، بعيدا من المكان، كان يدخن، سألت نفسها الذهاب إليه، كانت تريد قول شيء، قول أي شيء، تشعر بالشفقة على نفسها
و عليه، على حبها الذي تقتله بيدها، ماذا تفعل هنا بحق الجحيم، شعرت بحقيقتها، بحقيقتهم، أنهما غريبان، ال ينتميان إلى هذا المكان، قررت الوقوف و الذهاب إليه، تريد الحديث معه في
أي شيء، لكن أوقفها السمؤال بسؤال،

- أين هديتي؟

أخرجت ساعة معدنية فضية قديمة، و قدمتها له و قالت بإبتسامة مصطنعة،إنها ساعة و الدي، أول ساعة حصل عليها في حياته، و قبل أن تكمل، باغتها بقبلة على خدها االيسر بينما كانت
تراقب مرتضى الذي احتقن من االلمر و رمى بالسجارة و غاب إلى داخل الفيال.

أبعدته عنها بحزم و عاتبته على االلمر.

امسك بزراعها بقوة و قربها منه و بعينين يملئهم الشر قال،

- بحقك، أنت خطيبتي، اتستحي من ذلك، و بعد شهر سوف تتزوج.

أنت تؤلمني، ماذا حدث لك.

أفلت زراعها، و أكمل،

- و مما تستحي من الناس هنا، انظري ال أحد يهتم بما نفعله.

أنا أهتم، ربما خطيبتك لكن لم أكن زوجتك بعد، ثم أسرعت إلى الداخل، و دموعها تهرب من عينيها.

شعرت بالندم االن، هي رمت بنفسها في براثن هذا الفاسد، لم يكن حبا أبدا، لم يرغب ال بجسدها، ال بنزواته الصبيانية، جلست على االريكة و دفنت وجهها بين كفيها، يد تحسست

كتفها، رفعت بصرها، كان مآذن، اعتذر لها عن الموقف، و أخبرها؛ أنها ضحية لطفل مدلل، أنها تضيع نفسها خلف و هم الحب.

- إن السمؤال لم يحبك، و لن يفعل، هو فقط يلعب بك، يريد أن يتسلى بك فقط.

كانت تراقب كلماته في صمت و حسرة، ال تعرف ماذا تفعل اآلن، هل تعود إلى منزلهم و مع من؟

قالت له بينما تمسح دموعها،

- أخبره أن يعيدني إلى المنزل اآلن.

نهض مآذن و اختفى خارج المبنى.

وضع كفه يده على كتفها اآليسر، كان يقف خلفها، التفتت لتجده مرتضى ففزت بصورة ال إرادية و عانقته.

- أحبك يا مرتضى؛ أنا أحبك أنت.

امسكها بقوة، ضمها إليه أكثر و قال،

- أنا أيضا أحبك، لو تعلمين ماذا فعلت ألجلك، إلى أين وصلت بسبب هذا الحب، أنا ال أحب أن أرى هذه الدموع سيدتي، أن دموعك غالية جدا، و لن أسمح بنزولها مرة ثانية.

ابتعدت منه برفق ثم مسحت دموعها بينما تمسك؛ بيده جلسا على اآلريكة و أسدلت رأسها على كتفه و استطردت،

- أنا أسفه، فعلت كل هذا ألعالج أمي، أمي مريضة بالسرطان.

ربت على يدها و رفع و جهها وجعله مقابلة لوجهه وقال،

- أنا أعلم ذلك، و اعدك أني سأفعل كل ما بوسعي لعالجها.

دخل عليهم السمؤال و مآذن،

نهض االثنان، عم الصمت المكان، قال مآذن

- سأدعكم تتحدثون بعقالنية ثم همس للسمؤال ببعض التمتمات و انسحب ببطء.

جلس السمؤال على الكرسي المقابل لهم، و وضع قدمه على الطاولة في المنتصف تماما؛ و وضع االخرى عليها، أشعل سيجارة و أشار لهم بالجلوس، و قال بسخرية،

- كان عليكم االنتظار حتى نتزوج، هكذا تبدو الخيانة رخيصة نوعا ما.

أجابه مرتضى متحديا،

هذا يتوقف على من نخونه.

رفعت فاتن بصرها نحو السمؤال، بصوت متكسر قالت،

- نحن لم نخونك، فقط دعنا نوضح االمر لك.

قذف بهاتفه على االرض و صرخ بها و هو يقف،

توضحي ماذا، أنكم لم تناموا حتى االن؟ فهجم عليه

مرتضى، و قذفا بجسديهم على االريكة يتبادل اللكمات، هربت فاتن إلى الخارج. . لم- تعرف ماذا تفعل، لمن ستتحدث،

نظرت إلى الفاتح الذي يسامر االثيوبية، أم إلى التهامي الذي يجالس أقرانه من أصحاب اللحى و في وسطهم يوسف، بحثت عن مآذن، لم تجده، وقفت في المنتصف، تتلفت يمنى ويسرى، ال تراه أبدا، ماذا ستفعل، من تخبر، انتبه لها كرار التهامي، اقترب منها، كانت ترتجف و عينيها
المرهقتان تقيم حفلة من الدموع، سألها،

- ماذا بك؟ لما وجهك شاحب هكذا؟

- انه، انه السمؤ .. السمؤال.

ماذا فعل لك؟ هل ضربك، ماذا فعل بحق الجحيم؟ الحضور

وأنصتوا لها.(؛ كانت نظراتهم المربكة تحاصرها من كل اتجاه، أخذت نفسا ثم- انتبه استطردت وبصوت عالي،

- يتعارك مع مرتضى بالداخل.

هرع الجميع نحو المبنى، كان االمر فوضويا بالكامل، أصوات ارتطام الكراسي باألرض و
ببعضها البعض أشبه برقص مبتدئين في حفلة عامة، وصل الفاتح قبل الجميع، كان أسرعهم، توقف في باب المبنى و توقف االخرين معه، ال شيء يسمع اال هبوط و علو االنفاس، و صوت
ضربات القلوب.

وصل مآذن أخيرا، لم يقل شيئا، اقترب كرار التهامي ببطء نحوهم كانا متكومين تحت الطاولة الزجاجية التى تحولت الى ركام؛ و دمائهم بحرا قد أغرق المكان، كان المكان في فوضى عارمة أشبه بانكسار حنفية دماء، صاح الفاتح اطلبوا االسعاف و صاح آخر؛ افتحوا الطريق سننقلهم إلى المشفى بسرعة، حرك مرتضى قدمه اليمنى ثم فتح عينيه؛ بحلق في وجوه
االخرين، كانت كل نظراتهم و دعواتهم من نصيب السمؤال، ال أحد اهتم به، في الحقيقة ال يراه أحد؛ الى ان اقترب يوسف منه، اسنده إلى ظهره بينما ما يزال كرار التهامي يحاول إيقاظ ابنه من نومه العميق هذا؛ اقترب أحد الحضور و بحركة تنمى عن الخبرة و دراية بما يفعل، التف الجميع حوله، بينما جلس يوسف برفقة مرتضى على كرسي بمساقة منهم و برفقتهم فاتن التى كانت ترمق مرتضى بنظرات حانية و متحسرة؛ وقف الرجل بعد أن فحص الشاب المستلقي على االرض و صاح بإشارة من يده، اقبضوا على هذا الشخص؛ نظر الجميع نحو مرتضى؛
وقف يوسف، و صاح مهدءا،

- دعوهم يتماثلوا للشفاء و سنتحدث عن االمر الحقا.

قلع الرجل نظارته و قذف بها بإتجاه يوسف و هتف،

- عن أي شيء سنتحدث لقد مات.

مات؛

ماااااات.

سقطت فاتن مغشية عليها؛ جلس يوسف على االرض و دفن رأسه بين كفيه؛ لم يحرك مرتضى
سلكنا، أصبح ال يسمع شيء؛ هجم الفاتح نحوه؛ هجم الجميع، الفاتح، كرار التهامي، مآذن،
أولئك الخمسة أصحاب اللحى، و زوجاتهم حتى االثيوبية، كان رخيصا جدا؛ ال يساوي شيء؛ ابرحوه ضربا حتى فقد الوعي، ابتعدوا عنه و بعد أن فحصه نفس ذلك الرجل قال و هو يخيب

ظنهم، لم يمت أن أرواح أبناء الحرام طويلة جدا تساوي سبعة أرواح، و بعقالنية احتكم الجميع بأخذه إلى القسم، بينما تكفل مآذن بإرجاع فاتن إلى منزلها؛ و التي لم تنبس ببنت شفة بينما عاد
يوسف إلى منزله و ال يدري كيف سيزف النبأ الحزين لرقية.

المحاكمة

قبل أن يتم ترحيله إلى المحكمة، قال له المحامي إن تقرير الطبيب الشرعي أكد أن سبب الوفاة جرعة زائدة من المخدرات و ليس بسبب ضربة تلقاها، و جزم له بأن ال شيء سيحول دون خروجه بالبراءة، كانت رقية متماسكة و متفائلة حتى هذه اللحظة، لم تبكي أو تشعر بالخطر على أخيها و قد قالت له في زيارته األلخيرة، أنها تثق في براءته و أنه ليس قاتل و قد عتبت
عليه إخفائه أمر حبه لفاتن كل هذه الفترة، لكنها أشادت برفضه لعروض السيد التهامي.

تحركت عربة نقل المساجين نحو المحكمة، كانت هنالك عربة أخرى تتبعها، بها يوسف و رقية و والدة يوسف و صديقه كوما و عم مصطفى الجنوبي و حنان، جاءوا ليحتفلوا ببراءته، كان يريد أن يلتقي فاتن قبل المحاكمة، يريد أن يخبرها أنه لم يقتله، رغم أنها أرسلت له برفقة
المحامي في إحدى زياراته لمرتضى كتبت في رسالتها بالحرف،

أنا أحبك يا مرتضى، لكن ال يمكنني أن أنسى الحادثة بهذه السهولة، لكن هنالك دوما أمل لنلتقي.

لم يكن أكثر سعادة من ذي قبل فهي قد اعترفت مؤخرا بحبها له لكنه أيضا ساوره شك بأنها تصدق التهمة التي ألقيت عليه بعد اعتذارها عن مقابلته أو حتى حضور جلسة محاكمته، و بعد أن وصل إلى المحكمة أخبرته رقية أن فاتن والدتها قد اشتد عليها المرض بعد دخوله السجن
بثالثة أيام و هي تمارضها االن في المستشفى لذا لن تحضر المحاكمة.

كان يريدها أن تحضر، أن تشهد على براءته؛ أن تشهد نهاية أحزانه بل أحزانهم، ال يهتم أن كانت أحبته من نفسها أم بسبب ذلك السحر، في االخير هي اعترفت بذلك، لكن لم يتبقى سوى
القليل و عليه أن يصبر كما فعل طيلة هذه المدة، سيخرج بعد ساعة و يذهب مباشرة للمستشفى، سيلتقيها وسيطمئن على حالة والدتها.

وصل القاضي و مستشاريه، كانت القاعة تضج بوسائل إلعالم، الصحف السياسية و التلفزيون القومي، حضور كبير من لهم عالقة بأهل المجني عليه و من لهم عالقة بأهل المتهم، بل حتى
من ليس لهم عالقة بأحد.

بدء وكيل النيابة الجلسة و طرح رؤيته و اتهم مرتضى بتهمة القتل العمد،

ابتدر القاضي حديثه، - ستكون

هذه جلسة سماع االتهام و ولدفاع أما الجلسة المقبلة لالستماع للشهود و النطق بالحكم

تقدم قاضي االتهام،

سيدي القاضي السادة المستشارين؛ أطلب من هيئتكم الموقرة توجيه تهمة القتل العمد للمتهم, مرتضى حسين إسماعيل؛ و ذلك تحت المادة 130 من القانون الجنائي السوداني، حيث تعمد الهجوم على المجني عليه أوال و ثم حقنه بجرعة زائدة من الهيروين السائل، على عنقه حتى يبدوا سبب الوفاة جرعة زائدة من المخدرات و هذا ما يؤكده تقرير الطبيب الشرع و قد علم
المتهم بإدمان الضحية؛ فهم كما ورد لديكم في يوميات التحري أصدقاء، لذا استغل غياب الشاهد الرئيسي لطلب المساعدة و قام بحقن الضحية مما تسبب في وفاته متأثرا بمفعول الجرعة
الزائدة.

تقدم و منح القاضي ثالثة ورقات وأكمل، هذه نسخة

من تقرير الطبيب الشرعي؛ لذا اطلب منكم اتهامه بالقتل العمد و الحكم عليه باإلعدام شنقا حتى الموت، و كلي ثقة في عدالة محكمتكم. و شكرا.

عاد الى موقعه لبرهة ثم أمر القاضي محامي الدفاع بالتقدم بعد ان دون بعض الجمل،

- سيدي القاضي، السادة المستشارين أبدأ مرافعتي باستجواب المتهم، ثم توجه يمين الصالة حيث قفص االتهام؛

- السيد مرتضى حسين إسماعيل ما عالقتك بالضحية؟

صمت لبرهة تذكر عرض كرار التهامي االول، و الثاني و الثالث؛ و الذي طلب منه ان ال يتحدث عن عالقته به في المحكمة و بالمقابل سيدفع له خمسة ماليين و سيقوم بالعفو عنه، لكنه لم يأبه لألمر؛ كان عنيدا جدا، أن سير المحاكمة أخذ مسار آخر االن و عليه أن يقول الحق أن أراد النجاة و ال شيء سيردع الحق أبدا، سيقول الحق حتى و إن عدموه، ظهر والده بين الحشود وقل له، الحقيقة أمانة عليك و علي المؤمن أن يؤدي االمانات ألصحابها؛ عاد من شروده بعد تكرار المحامي السؤال، ثم استدرك؛

طلب مني والد المجني عليه أن اعمل لديه مسؤوال عن حملته االنتخابية، في هذه اللحظة دخلت فاتن قاعة المحكمة، نظر في عينيها مباشرة كانت عيناها مرهقتان و وجهها شاحب لكنها- متماسكة، أكمل حديثه بينما كانت ترتسم على وجهه تعابير السعادة،

و قرر بالمقابل أن يساعدني في عودة حب حياتي إلى؛ و هي خطيبة ابنه؛ صمت لبرهة و اكمل، و أنها هذه الفتاة يا سيدي القاضي أشار عليها؛ بسبابته و اتبعها بابتسامة ثم أكمل حديثه؛ كنت أحب هذه الفتاة و للحقيقة حتى االن أحبها قاطعه القاضي،

عليك اإلجابة على السؤال فقط وال تذكر أي معلومة ليس لها عالقة بالسؤال. صوب الحضور نظراتهم إليها، القاضي و مستشاريه، العسكر داخل القاعة، اإلعالميين حتى- كاميرات المصورين، و لم تهدأ القاعة حتى طرق القاضي درجه بمطرقة خشبية صغيرة.

أخذت فاتن مكانها في منتصف القاعة تماما، يمينها ماذن و يسارها كوما.

أمره القاضي بأن يكمل؛

- و قد قال لي إنه سيضمن ذلك، ال يريد البنه أن يتزوج بهذه الفتاة حتى ال يتسبب في أذيتها.

استطرد محامي الدفاع حديثه،

كم هي المرات التي التقيت فيها بالضحية قبل الحادثة؟

- هي مرة واحدة، كانت في منزلنا و قد حضر برفقة أسرته.

كم هي المرات التي زرت في منزله؟

- زرته مرتين، المرة الأولى التقيت والده؛ و الثانية كانت في يوم الحادثة.

سيدي القاضي، لم تكن هنالك صداقة أبدا، فهو بالكاد يعرفه، و مما سبق ينفي اي احتمالية لمعرفة موكلي بإدمان الضحية؛ اما تقرير الطبيب الشرعي الذي أكد أن سبب الوفاة هو جرعة- زائدة من المخدرات فهو صك البراءة لموكلي؛ فال أحد يعلم إن كان الضحية يتناول المخدر عن طريق عنقه أو يده، وال أحد سيعرف إن كان قد تناوله قبل الحادثة، و تم حقنه به، هذا كل شيء
سيدي القاضي.

قرر القاضي نهاية الجلسة و سوف تكون الجلسة القادمة هي سماع الشهود والنطق بالحكم.

اقترب كرار من مرتضى و قال،

- لم يكن عليك الحديث عن ألمر؛ ستندم على هذه الفعلة؛ حتى آلن كنت أتعامل معك بحكمة لكن أنت من طلب المعاملة الخبيثة؛ و اعلم أنك لن تنجو.

خرج التهامي و ابنه ليجدا وسائل إلعالم تطوقهم من كل اتجاه.

- سيد كرار هل فعال كنت تريد أن تفشل زواج ابنك؟

- هل كنت تعلم أنه يدمن المخدرات؟

- كيف ستتعامل مع مواطني والية الخرطوم و أنت ال تجيد التعامل مع ابنك؟

- كيف ستمنع الجريمة و المخدرات وأنت ال تمنعها في منزلك؟

أسئلة الصحفيين تحاصره من كل ناحية، و بعد جهد كبير استطاع هو و السمؤال تجنب الإجابة
و اندفعا داخل عربتهم و التي تحركت سريعا غير آبهة بالإعالميين الذين يحيطون بها.

سمحت الشرطة لمرتضى بالجلوس مع أسرته لبرهة قبل نقله الى السجن، كانوا سعداء بمسار المحاكمة، تناولوا الشاي الخفيف الذي يحبه مرتضى، هو يحب جلوسهم حوله هكذا، لكنه يشعر بشيء ناقص؛ يفتقد شخص ما ليس معهم، حكى لهم عن ليلته ألولى في السجن، و كيف تورم جسمه من النوم على ألارض و من الضرب، حكى لهم عن الحلم الذي يطارده و عن المعاملة المتوحشة التي يتلقاها هناك، رغم المآسي التي مر بها إال أن الجميع كان سعيدا ببراءته المحتملة التي أكد عليها المحامي وا لذي قال لهم أن القضية بسيطة جدا و ال تحتاج لوقت كثير فالجلسة
القادمة ستكون بعد يومين و حينها سيتم استجواب الشاهد الرئيسي و هي فاتن و بعد ذلك سيتم تبرئته؛ و قد طمئنهم القاضي و اكد أنه على تواصل بفاتن و التي ستحضر للشهادة وحتى في
حالة عدم حضورها فإن البراءة هي النتيجة لعدم كفاية ألدلة.

ودع مرتضى أهله و أصدقائه، عم مصطفى الجنوبي و حنان و كوما؛ باإلضافة ليوسف و عمته سامية و رقية؛ ودعهم ملوحا من خالل نافذة العربة التي تقل المساجين و رسم ابتسامة راضية على وجهه، سيصبر حتى ينتصر، ال يتذكر شيئا من الحادثة فهو قد هجم أوال على السمؤال و بعدها قذف به السمؤال على الطربيزة الزجاجية و فقد الوعي، كان كل تفكيره حول رؤيته لفاتن
و هي تنظر له بحب و شوق كبيرين، سوف تأتي المحكمة بصفتها حبيبته و ليس بصفة شاهدة، سيلوح لها من بعيد بحرية سيصيح أنها حبيبته دون خوف من أحد و كان يفكر في ذلك طيلة
المسافة بين السجن و المحكمة؛ في هذه الليلة لم يستطيع النوم بل هو ال يريد أن ينام؛ يبحث في داخل نفسه عن كل الذكريات السيئة التي عاشها، يريد أن ينساها يريد أن يبدأ حياته من جديد بال
حزن و ال تعاسة يبدأها طفل صغير.

أمر القاضي بدخول الشاهد الوحيد أو الشاهدة؛ و قفت فاتن على المنصة كانت شاحبة و نظراتها تائهة داخل القاعة، نظرت في وجوه الجميع؛ الفاتح و كرار التهامي، مآذن، رقية و يوسف، سامية و حنان و كوما و عم مصطفى الجنوبي؛ العساكر الذين يقفون جوار قفص االتهام،
نظرت للجميع إال مرتضى، لم تستطيع النظر في وجهه؛ سألها القاضي،

- اسمك و سنك و عنونك

فاتن عمر عبد هلالا واحد و عشرون عاما؛ السلمة مربع اثنين جوار مدرسة التحصيل.

- رددي خلفي، أقسم باهلل العظيم أن أقول الحقيقة و ال شيء سواها.

رددت القسم و يداها على المصحف الشريف.

استطرد القاضي حديثه مخاطبا محامي الدفاع الشاهدة لك.

تقدم المحامي و وقف أمامها مباشرة.

- أخبرينا ما الذي حدث يومها؟

أخذت نفسا عميقا، ثم ابتدرت حديثها،

وجدنا السمؤال أنا و مرتضى برفقة بعضنا البعض داخل صالة االستقبال بالفيال و كان برفقته مازن صديقه؛ خرج مازن و جلسنا نتحدث معه، اتهمنا بالخيانة فضربه مرتضى على وجهه بعد
أن قل أدبه معنا بالحديث، قاطعها المحامي،

- كيف قل أدبه معكم بالحديث؟ ماذا قال بالضبط؟

قال إنه إن كان تأخر فإننا كنا سننام، و أكملت،

بعد أن ضربه مرتضى رد عليه و تعاركا فأسرعت إلى الخارج طلبا للنجدة، لم أجد أحد يمكنه المساعدة كان الجميع مشغوال و لم أجد مازن في المكان، حينها جاء إلى والد السمؤال و أخبرته
باألمر؛ هرع الجميع نحو الداخل، و حينها كان كل شيء قد توقف.

استدار المحامي نحو القاضي، -

سيدي القاضي كما هو واضح اآلن أمام هيئتكم الموقرة أن الشاهد الوحيد لم يرى موكلي و هو يحقن المجني عليه لذلك أطلب من سيادتكم اإلفراج فورا عن موكلي لعدم كفاية اأدلة.

و هذا كل شيء سيدي.

تهامس القاضي وتمستشاريه ثم استطرد القاضي،

- الشاهدة لمحامي االتهام.

صوب الرجل نظراته الحادة إلى فاتن؛ ثم قال

- عندما هجم المتهم أوال على المجني عليه كيف ضربه؟

ضربه بقبضة يده.

- و ماذا فعل الضحية، كيف رد عليه؟

رد عليه بقبضة يده أيضا ثم قذفا بجسديهما معا على الطاولة.

- و ماذا حدث حينها بالضبط؟

خرجت مسرعة ألطلب المساعدة.

استدار بحركة سريعة نحو القاضي،

إذا سيدي القاضي، حتى هذه اللحظة الضحية لم يكن منتشيا أبدا؛ فإن كان قد تناول الجرعة الحادثة سوف يجد صعوبة في تحريك أطرافه بوجه عام؛ كواحد من االعراض السريعة- قبل
التي تتبع عملية تناول المخدر، لكن كما زكرت الشاهدة فإنه رد عليه الضربة بالضربة.

ثانيا أن مدمن الهيروين بعد تناوله الجرعة يشعر بسعادة غامرة جدا، لذلك قل ما تجده عدوانيا بتلك الطريقة، كذلك سيدي القاضي بعد تناول جرعة من الهيروين يفقد المدمن التركيز بصورة واضحة؛ لكن موكلي استطاع التركيز و رد الدين على المتهم الذي اعتدى أوال و من المفترض أنه تناول جرعة زائدة أدت إلى وفاته الحقا و هذا ينافي احتمالية تناوله الجرعة قبل الحادثة، لذا سيدي القاضي ألمر الطبيعي و المنطقي أنه تلقى الجرعة أثناء العراك؛ و كما زكر في تقرير الطبيب الشرعي و مثبت لديكم، وجد الهيروين طريقه عن طريق وريد جانبي في العنق لذا
دعوني استدعي شاهد آخر إلى هيئتكم الموقرة.

تم صرف فاتن من المنصة وسمح له القاضي بذلك و طلب المحامي حضور الشاهد.

توجهت أألنظار نحو منتصف القاعة، نهض رجل في أواخر االربعين يرتدي جلباب أبيض قصير و سروار متهالك استعمرته أألوساخ و العرق؛ يعتمر قبعة خضراء قصيرة، وقف على
منصة الشهود؛ صوب نظره مباشرة في وجه مرتضى، تفحصه جيدا، كأن لهم سابق معرفة.

سأله القاضي.

- اسمك و،سنك و عنوانك؟

كمال الدين الفاندي سليمان، ثمانية و أربعون عام؛ السكن إلنقاذ مربع واحد.

ردد خلفي، اقسم باهلل العظيم ان اقول الحقيقة و ال شيء سواها.

ردد القسم و يداه على المصحف؛ رددها بصوت متكسر و متعب.

استطرد القاضي مخاطبا محامي االتهام الشاهد لك.

بنبرة واثقة قال المحامي،

سيدي القاضي؛ ان الشاهد يعمل سائق ركشة، و يلتقي في يومه كل اصناف البشر، يلتقي و الطبيب و اللص و االرملة و الفاجرة؛ حدثنا ايها السيد متى التقيت بهذا الرجل في- الضابط
قفص االتهام؟

التقيته قبل شهر و ثالثة ايام؛ تحديدا يوم الثالث عشر من الشهر الماضي.

بحركة سريعة من سبابته استدار المحامي نحو القاضي, و هذا اليوم هو بالضبط يوم الحادثة و واصل حديثه،

- اين إلتقيته وتما الوقت وتكيف و ماذا حدث بعدها؟

- التقيته في االنقاذ مربع ثالثة بعد صالة العصر, طلب مني ان اقله لمنطقة جبرة.

صاح مرتضى؛

انت منافق لم التقيك, عنف القاضي مرتضى و امره بالتزام الصمت و عدم مقاطعة الشاهد الذي اكمل،

- اوصلته الى منطقة جبرة و عدت راجعا, الكتشف انه قد نسي قنينة عقار طبي صغير لونه اخضر, قاطعه المحامي؛

اذا سيدي القاضي كما هو واضح امامكم االن ان الشاهد التقى بالمتهم و بحوزته اداة الجريمة, و اوصله لموقع الجريمة, ثم اشار بإنحناء مرح و اردف بنبرة واثقة،

اطالب هيئتكم بإدانته تحت المادة 130 من القانون الجنائي السوداني بجريمة القتل العمد و مع سبق االصرار و الترصد استنادا على الوقائع االتية:

جاء المتهم الى موقع الجريمة مبيت النية بارتكابها، و اثناء عراكهم استغل خروج الشاهد الرئيسي و حقن الضحية بالعقار في عنقه و تخلص مت اداة الجريمة بكل يسر نسبة لمخلفات
الحفلة التى كانت قائمة انذاك، و هذا كل شيء.

الشاهد لمحامي الدفاع, قالها القاضي وهو يهمس لمستشاريه و يدون على االوراق امامه. .

وقف المحامي امام الشاهد بالضبط, و ابتدر حديثه؛

- ال تنسى انك تحت القسم سيد كمال الدين؛ قاطعه محامي االتهام,

- اعترض سيدي القاضي محامي الدفاع يشكك في نزاهة الشاهد.

اعتراضك مرفوض, فليكمل محامي الدفاع، جاء رد القاضي سريعا.

- اخبرني االن, كيف تتزكر ذلك اليوم جيدا رغم مضي شهر من االن و تتزكر المالمح جيدا؟

ال يمكنني ان انسى ذلك اليوم ابدا, و ال يمكنني ان انسى المالمح ابدا, فبعد ان اوصلته منحني خمسمائة جنيها اجرة التوصيل, و االجرة الطبيعية ال تتخطى السبعون جنيه, ثم في طريق عودتي التقيت بصديق لي اخبرته بشأن االجرة المرتفعة و العقار الذي بحوزتي, و ذلك
الشخص مروج للممنوعات, عندما رأى العقار اشتراه مني بمبلغ خمسمائة جنيه ايضا.

صمت محامي الدفاع, قلع نظارته واستدار نحو القاضي هذا كل شيء و رمى بنفسه على كرسيه ثم دفن وجهه بين كفيه؛ كانت نظرات مرتضى ضائعة في القاعة, على فاتن و رقية على يوسف و كوما, تسمر في مكانه و فقد القدرة على الوقوف و الرؤية, اضواء كاميرات
المصورين تصتاده من كل زاوية, رأى رقية تتمالك نفسها, و ذلك يوسف ينظر في احتقار و احتقان نحو الرجل, رمقه بنظرة حادة, ثم صاح انا اعرفه, انه مرتشي؛ مرتشي, لقد قرأت عنه على الفيسبوك لقد اشتراه التهامي بركشة, اشتراه بحفنة جنيهات, لقد باع ذمته و اخالقه بنعيم
الدنيا الزائل, جاء صوت مطرقة القاضي عنيفا و امر بطرد يوسف من القاعة ثم قال،

- حكمت المحكمة على المتهم الماثل امامنا مرتضى حسين اسماعيل؛

باالعدام شنقا حتى الموت.

رفعت الجلسة؛ نعم هكذا بكل يسر.

اجتاحت القاعة موجة هيجان و ضجيج عالي, صاح التهامي و خلفه ماذن،

- هلا اكبر, هلا اكبر؛ ال اله اال هلا؛ ال اله اال هلا.

بينما فقدت رقية القدرة على الحديث لم تحرك ساكنا, كانت تنظر نحو مرتضى فقط, الذي ظل يراقب الوضع, ظهر ابيه بين الحشود, كان يرتدي حلة بيضاء, مبتسما و على جبينه نور
ساطع, كانا هم االثنان فقط في القاعة، قال له و الده ال تحزن يا ولدي ستلحق بنا؛ ان الدنيا ليس
مكان للمقيم االبدي، ان تم ظلمك هنا فلن تظلم في محكمة السماء والدار االخر.

في اليوم التالي خرجت عناوين الصحف.

كرار التهامي يقتص لموت ابنه الصغير و ينال العدالة.

مرشح الحزب الحاكم المحتمل ابنه القتيل مدمن مخدرات.

الحكم باالعدام لقاتل ابن كرار التهامي رجل االعمال المعروف.

قرار منتظر من المركز بعدم ترشيح كرار التهامي.

أنا لم أمت ولن

وضع الفاتح مسدسه على الطاولة أمام والده الذي يطالع العنوان البارز بالصحيفة.

)التهامي يتراجع عن تكليفه بتمثيل الحزب الحاكم لكرسي والي الخرطوم.(

رمق ابنه الجالس أمامه و عاد للمطالعة مرة أخرى بعد أن انتهى قذف الصحيفة على الطاولة ثم نهض؛ أشعل سيجارة و بيده الثانية كأس من الخمر البلدي الرديء وقف ينظر من خالل النافذة، يرتشف من الكأس و يقبل سيجارته فتتململ السحب خارج فمه العريض، سأل ابنه:

- هل فعلتها؟

هل قتلت بقية أسرته؟

مرت ثالثة أشهر ألم تشعر بالعطش؟

اجابه ابنه بنبرة متحدية؛

- ال لم أفعل، ال يمكنني فعلها.

لما أال تشعر بالحزن على أخيك؟

بلى أشعر، لكن ال يمكنني االنتقام له، ال أستطيع.

رمى بالكأس على زجاج النافذة وقذف بالسجارة خلفها، التفت إليه باستغراب وقال؛

- ماذا هل تخاف على نفسك؟

لقد ضاع كل شيء بسببه، ال يمكنني أن أكون الوالي، بسبب ذلك الوضيع ال أستطيع العودة إلى شندي، كل ما فعلته طيلة هذه السنوات هو ألجلكم و ألجل أبي، ال يمكنني أن أنسى ما فعله سكان شندي به، أريد أن انتقم المي التي ماتت ظلما، انتقم البي الذي قدم لهم كل شيء و قد ردوا جميله بالنكران.

و أنت ال يمكنك فعل أمر كهذا ألخيك؟ لقد توفى أبي قبل أربعة و خمسون عاما، وما زلت أريد االنتقام له، و أنت أخيك توفى قبل شهر و يمكنك أن تسامح قاتله، يا للعار.

نهض الفاتح و وقف أمامه مباشرة، و قال ما لم يتوقعه كرار،

سبب أخالقك هذه أضعت أخي، بتربيتك الخاطئة له جعلته يسلك طريقا مسموما، و زرعت فينا التكبر و الغرور زرعت فينا الحسد و البغض و العنصرية، أنا ال أريد أن أكون مثلك، ال أريد أن انتقم ألخي من أشخاص أبرياء، أنت يا أبي تريد أن تنتقم، لكن ال تستطيع أن تنتقم من القاتل، ألنك أنت القاتل.

نعم أنت أنا عرفت كل شيء من مآذن، أنت القاتل يا أبي، لذا ال أستطيع االنتقام منك، ألن االنتقام ليس إال مخدر كالهيروين، ما أن يتوغل في جسدك حتى تصبح متعطشا للضرر، أنا لست مثلك، ربما أنت أبي لكنني مختلف عنك كثيرا.

قاطعه التهامي،

- ما الذي تقوله أنت، هل تعي ما تتفوه به أيها الصعلوك؟

عاد الفاتح ليجلس على المقعد و وضع ساق على ساق، أتعرف يا أبي أن أسوء ما في ضباط الشرطة هم الشك، و أفضل ما فيهم هي قوة المالحظة، أنت لست بحزين على السمؤال، بل حزين على هدفك القذر، تريد المنصب لتنتقم من مدينة شندي على أفعال والدك الخسيسة.

تلك الليلة حينما عاد مآذن من داخل الفيل، ظل يتلفت يمينا ويسارا كاللص، تبعته بنظراتي فقد منحك صندوق صغير ذلك الصندوق هو ما يحوي الهيروين الذي قتل السمؤال، و جميعنا ننكر أنك أول من دخل على السمؤال و هو واقع في ألارض و قبل أن يالحظك أحد حقنته بالهيروين، يا لخباثتك، بعدها لم تستطيع التخلص من الحقنة اال بوضعها داخل جيبك و كأن شيء لم يكن.

وذلك الرجل الذي شهد بأنه أوصل مرتضى إلى هنا، في الحقيقة هو أوصل مآذن، و أنت سبق و اشتريته في قسم الشرطة، نعم أنه ذلك الرجل الذي منحته التوكتوك.

عاد التهامي إلى المقعد مواجها البنه و قال بصوت ضعيف،

- أنا لم أكن أريد قتله أبدا، و لم أفكر في ذلك، كنت أود فقط أن اجعله يترك تصرفاته الصبيانية تلك حتى ال تؤثر على عملية ترشيحي، أنا أحبه جدا قاطعه الفاتح،

- هل عرفت لما ال أريد االنتقام؟ حتى ال أقتلك و أجعلك تتخلص من عذاب الضمير، لكن أن أردت أنت يمكنك أن تنتقم له و دفع المسدس نحوه و خرج.

بعد خمسة ثواني سمع الفاتح مسدسه يتمخض عن جنينه بصراخ عالي، ثم أشار على الجنرال الطيب عباس بالخروج و الذي كان يقف متلصصا قرب الباب، و قال له،

يمكنك ان ان تتدخل االن و تنصف المسكين مرتضى، لو انك لم تحدثني عن تاريخ ابي و جدي في مدينة شندي لما عرفت الحقيقة ابدا، ربما كنت قد قتلت اسرة مرتضى، فشكرا لك- سيدي الجنرال.

توقف الفاتح بعربته أما الباب االزرق الصغير، يحمل بيده االولى ملف أحمر و الثانية حقيبة صغيرة، طرق الباب ستة مرات ثم فتحت له فاتن، كانت ترتدي عباءة سوداء و تحمل بيدها قلم و بعض االوراق، رمقته ببعض النظرات المستوحشة سألها،

- هل ستدعينني للدخول؟

آسفة تفضل.

جلس إليها في مكتب مجاور للباب، منحها الملف ثم قال؛

هذه أوراق المحكمة لقد تمت تبرأت مرتضى، اعلم أن الوقت تأخر لكن هذا قدر هللا، و كذلك هنالك رسالة لك كتبها قبل تنفيذ الحكم عليه و طلب أن تسلم إليك أنت و هذه الحقيبة الصغيرة- هي تعويض حكمت عليه المحكمة ألسرة مرتضى.

أخذت االوراق، و استطردت؛ -

ال أستطيع أن استلم منك الحقيبة، أن دمه ال يساويه ثمن، ثم إنه ليس مخول لي هذا االمر، أن أسرته قد هاجرت إلى كندا، فشكرا لك على القدوم، قالت ذلك و هي تقف.

نهض الفاتح و قلب نظره داخل المكتب الصغير، صورة كبيرة لمرتضى تزين الجدار، اندفع منحنيا عبر الباب القصير، مد يده مصافحا و قال لها،

؛ شكرا لك، أتمنى أن تفكري في أمر الحقيبة ربما تستطيعين إرسالها إلى أهله ردت عليه بصمت باهت،

- سأحاول.

خرج خائبا، كان بوده أن يعوض أهل مرتضى عن جريمة والده، لكن كان قد فات اٱلوان، هم بصعود السيارة فوقع بصره على الالفتة التي تزين المدخل كتب عليها بخط اليد)مركز مرتضى للتأهيل و إعادة التأهيل المجتمعي(.

مرت امرأة من امامه استوقفها؛

- معزرة ماذا يقدم هذا المركز؟

أجابته بثقة المدرك لألمر، -

يساعد هذا المركز في التعافي من إدمان المخدرات و مساعدة اٱلسر المتعففة كذلك يقوم برعاية اٱليتام و تقديم محاضرات توعوية للسكان.

شكرها ثم غادر في هدوء.

أغلقت فاتن غرفتها بعد أن اطمأنت أن والدتها ما زالت تتنفس، أو ما زالت تعاني من انتظار آخر يوم في حياتها، أطفئت المصباح ثم أشعلت شمعة صغيرة و فتحت ظرف مغلق بالشمع اٱلحمر.

)حبيبتي فاتن، سيدة قلبي و عقلي، حينما تطالعين هذه الرسالة سأكون قد نمت بعد أن التف حبل صغير حول عنقي، ال لن أكون قد مت، صحيح سيكونون قد عدموني لكني لن أموت فالحقيقة
خالدة و ما سواها سيمحق.

ال أريدك أن تحزني على، فشخص مثلي ليس من االنصاف الحزن عليه، ليس من االنصاف أن نحزن على من مات ظلما بل على من مات ظالما، أنا سأنتقل إلى مكان أفضل و أجمل، حيث ال
ظلم و ال جشع و ال عنصرية، سأنتقل إلى مكان يتساوى فيه الجميع ال فرق بين فقير أو ثري، أنا أحببتك بطريقة ال يمكنك أن تتصوريها، حتى أنا أيضا ال يمكنني أن اتصورها، لقد أخطأت
في حياتي كثيرا ربما هذا عقابي، لكنني فعلت كل شيء ألجلك انت.

أريد أن اعتذر منك يا فاتن فأنا شخص سيئ جدا، ربما تعتقدين أنك تحبينني، ال؛ أنت ال تحبينني
أنه سحر، لقد استخدمت السحر في سبيل الوصول إليك بعد أن عجزت عن طريق الواقع.

و قد قال لي رجل عجوز يوما ما، أن لكل شيء ثمن حتى الهواء الذي نتنفسه نقدم مقابلة ثاني أكسيد الكربون، و أعتقد أن هذا الثمن الذي أقدمه مقابل هءا السحر هو حياتي، أنا أعلم تمام العلم أن رقية ستغادر المنطقة بعد إعدامي؛ لن تستطيع البقاء فيها فكل ركن و كل طريق في السلمة
يزكراها بأحد منا، أبي و امي، عمي، الحاجة عفاف، ثم أنا.

انا ال اخاف عليها فهي قوية و تستطيع الصمود و الصبر و لديها ايضا يوسف و العمة سامية، لذا في حال انتقالها اريد منك ان تحققي حلمي، اريد منك ان تساعدي سكان المنطقة، ال اعرف
الطريقة التي ستسلكيها لكني متأكد من انك ستفعلين.

و اريد منك أمر آخر، حينما تتزوجي و ترزقي بطفل ال تسميه على اسمي، ذلك سيؤلمك دوما و
سيؤلمني. مع

حبي مرتضى حسين

من الراوي

االنتقام هو لحظة طيش عابر، يعتري عقلك و قلبك أن تركته يتمكن منك لن يفارقك أبدا حتى يكون نهايتك، قد تسلك طريق الحقد و الضغينة ال تهتم بمن يتضررون في رحلتك هذه، لكن
حين فوات االوان ستكتشف أن الخاسر االكبر هو أنت فقط.

أحيانا في حياتنا يتوجب علينا أن نختار ما بين شيئا نحبه و شيئا في مصلحتنا، و ليس بالضرورة أن يكون كل شيء في مصلحتنا نحبه، و ايضا ليس بالضرورة ان يكون كل شيء
نحبه في مصلحتنا، فهنالك كثير من االشياء التى نمرها في حياتنا جميلة جدا لكننا ال نرى ذلك.

أن النقصان هو أمر طبيعي فينا كبشر و الكمال هلل وحده، و بعض االخطاء التي نقع فيها في سبيل اكتساب ما ليس مقدر لنا تكون عاقبتها وخيمة جدا.

تمت بحمد هللا.

عزيزي القارئ الكريم

كل القبائل و السحنات المختلفة في الرواية و كل االثنيات المتنوعة لها مني كل الحب و االحترام و كل العبارات و االوصاف المزكور ال تمثل اال خدمة العمل السردي و حبكة الرواية و ليس لها اي معنى اخر.

االحداث داخل الرواية هي من وحي خيال الكاتب و ليس لها معنى حقيقي على االطالق.

بعض الشخصيات المزكورة داخل الرواية مستقاة من شخصيات حقيقة و تم تجميعها لتناسب سير االحداث وصوال لكمال اركان القصة و اتمنى لهم في الحياة الواقعية دوام الصحة و العافية.

اخيرا عزيزي القارئ ال تنسى ان تشارك مالحظاتك و تعليقاتك على العمل مع الكاتب عبر صفحته على الفيسبوك:

محمد محي الدين-Mohammed mohyeldeen

او عبر البريد االلكتروني:

anaasazeet@gmail.com